جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الانسانية

شعبة التاريخ

الجنوب الجزائري من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني 1519-1830م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830م

اعداد الطالبتين:

* بوشركة نصيرة

* بوزمارن شهرازاد

اشراف الاستاذ:

* أ/فتيحة صحراوي

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2019-2020م

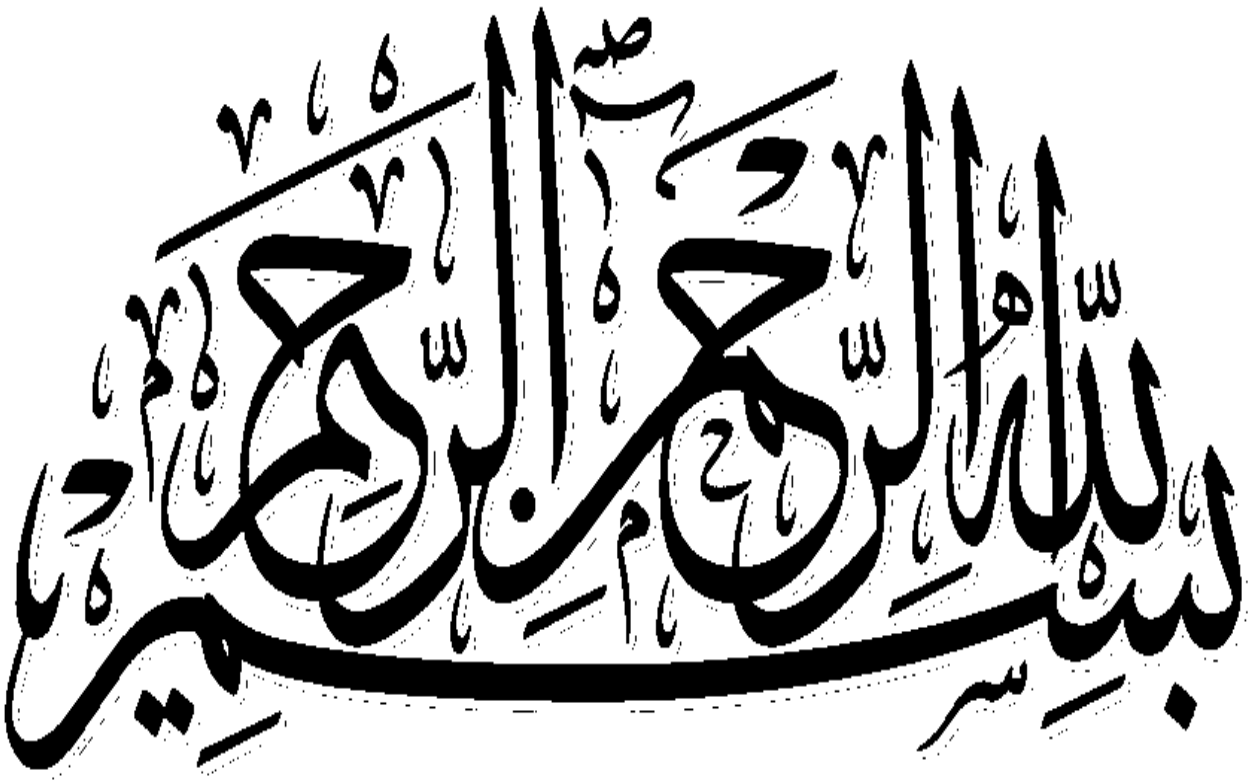
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله 03عليه وسلم

إن كان هناك شكر فهو لله سبحانه وتعالى عن كثير فضله وسائر نعمته على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل.

أولا أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذة المشرفة"" **فتيحة صحراوي**"" التي لم تبخل علينا بالنصائح السديدة والتوجيهات القيمة لكل منا فائق التقدير والاحترام وفقك الله .

كما نتقدم بشكر الجزيل إلى كل أساتذتنا بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة الجلالي بونعامة خميس مليانة وبالأخص

""**الأستاذ قلفاط عبد الباسط**""،"" **أحمد طاهر قوادري**"" ،والأستاذ ""**محمد بوكروية**"" جامعة الشلف كما نتقدم بشكري الجزيل إلى كل من ساعدنا من قريب او بعيد في انجاز هذا البحث.

اهـــــداء

وانه لا يسعني في هذا المقام إلا إن اهدي ثمره جهدي إلى مثل الأصالة والثبات ومن علمني أصول الحياة ورباني على مكارم الأخلاق وعلمني أن العلم سلاح العلماء إلى من كانت سندي والفرح في النائبات وتشقى من اجلي وأحطتني بالذكر و الدعوات إلى أجمل ما أهداني الله والدي العزيز ""احمد"" اطال الله في عمره

والى المفعم قلبها بالإيمان التي يفيض قلبها رحمه وحنان وشاطئ الآمال وملكة القلوب جميعا بطيبتها وحنانها

والتي كرست جهدها من اجل دراستي ونجاحي والتي ضمنت بالقليل والكثير والرخيص والغالي في سبيل في سبيل قلمي وجعلت من دموعها حبرا إلى من تحت قدميها جنة الرضوان والدتي"" فتيحة"" حفظها الله والى إخوتي ناديه راضية ومليكة منصور والكتاكيت يوسف ويعقوب والى صديقاتي وحيدة مليكة شهرزاد فتحية والى كل من ساعدني في انجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

** نصيرة**

اهـــــداء

اهدي ثمرة جهدي الى من تعبت لكي انجح وتألمت لكي أتميز عن البقية:

"" أمي الغالية""

والى من أفنى صحته لكي أتعلم والى من شق دروب المصاعب لكي أتفوق:

""أبي الحبيب""

إلى مصدر الدعم والعطاء أخي وأخواتي

إلى كانوا مصدر الفرح والسعاده صديقاتي سولاف خديجة ونصيرة

الى كل من أعانني من قريب أو بعيد في انجاز هذه الرسالة

** شهرة**

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم

إن كان هناك شكر فهو لله سبحانه وتعالى عن كثير فضله وسائر نعمته على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل.

أولا أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذة المشرفة"" **فتيحة صحراوي**"" التي لم تبخل علينا بالنصائح السديدة والتوجيهات القيمة لكل منا فائق التقدير والاحترام وفقك الله .

كما نتقدم بشكر الجزيل إلى كل أساتذتنا بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة الجلالي بونعامة خميس مليانة وبالأخص

""**الأستاذ قلفاط عبد الباسط**""، "" **أحمد طاهر قوادري**"" ،والأستاذ ""**محمد بوكروبة**"" جامعة الشلف كما نتقدم بشكري الجزيل إلى كل من ساعدنا من قريب او بعيد في انجاز هذا البحث.

قائمة المختصرات:

العربية :

- (ش.و.ن.ت)الشركة الوطنية للنشر و التوزيع .
- (م.و.ط) المؤسسة الوطنية للطباعة.
- (م.ج.ط)المؤسسة الجزائرية للطباعة.
- (د.ع.ن.ت) دار العلوم للنشر و التوزيع.
- (د.ف.إ) دار الفكر الإسلامي.
- (د.ط) دون طبعة.
- (ج) الجزء.
- (ط) الطبعة.

الفرنسية:

- **E.D Edition**
- **P. Page**
- **N. Numéro**

مقدمة

يعتبر أدب الرحلات فن قائم بذاته لأنه يعمل على دراسة الأخر دراسة شامله من جميع النواحي و يحيط بالظاهرة من كل جوانبها سواء الإيجابية كما عرف العهد العثماني وفود الكثير من الرحلات وبالأخص المغاربة على مدينة الجزائر التي تزايدت مع بداية القرن السادس عشر وقد اهتم الرحالة بزيارة مختلف المناطق العربية بحيث عمله على توثيق العديد من المشاهد والأحداث والأشياء التي تعرف عليها أو شاهدوها أو تعاملوا معها في رحلاتهم لتصبح فيما بعد ما مصدرا أساسيا لدراسة تاريخ أي منطقة.

وقد اهتم الباحثين في الدراسات الحديثة المتعلقة بتاريخ الجزائر أثناء الفترة العثمانية بهذا النوع من الكتابات وركزوا اهتمامهم على الرحلات لما تحتويه من معلومات هامة قد لا نجدها في مصادر أخرى وهنا نورد قول "" **أبو القاسم سعد الله** " **من أراد أن يكتب عن الجزائر الماضية مثلا لا يمكنه أن يستغني عن رحلات التمغروطي، والعبدري والبلوي والعياشي والغساني والزياني والجامعي وابن زاكور والدرعي** وإضرابهم.....وأعمالهم جميعا أصبحت لا غنى عنها المؤرخين والجغرافيين والأدباء وعلم الاجتماع لذا فهذه الرحلات تعد خزينة لأخبار تاريخية شاملة عن المجتمع الجزائري لفترة من الزمن كان يمثل فيها محطة رئيسية هامة عبر طريق التجارة عموديا من الشمال إلى الجنوب وطريق الحج وفقيا من الشرق إلى الغرب وبهذه ساهمة الرحالة مساهمه فعالة في اكتشاف تاريخ الجزائر وخاصة جنوبه بكتابه معالمه.

وبهذا يعد موضوع الجنوب الجزائري في العهد العثماني من خلال الرحالة المغاربة من المواضيع المهمة والذي أثار فضولنا لدراسته من خلال التطرق لبعض كتب الرحالة المغاربة مع إعطاء نبذة عن حياة هؤلاء الرحالة بالإضافة إلى بعض الصفحات من المصادر المحلية وتسليط الضوء على مختلف الأوضاع المعاشة أنذاك.

لابد من تحديد الإطار الزمني والمكاني للموضوع بحكم إن العهد العثماني في الجزائر طويل جدا 1518 – 1830 م فحددنا بداية القرن السادس عشر تماشيا مع زمن الرحلات وهو

ما حددته طبيعة الموضوع بالإضافه إلى: الإطار المكاني: مدينة الجزائر وبالضبط الجنوب الجزائري وقع اختيارنا لهذا الموضوع نتيجة عدة دوافع نذكر منها :

- ميولنا الشخصي لدراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية.
- إلقاء الضوء على كتابات الرحالة المغاربة وما احتوته من انطباعات على الجزء الجنوبي لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني.
- تناول أغلب المؤرخين في دراستهم التاريخ مواضيع حول الجيش الانكشاري والبياليك هل الشريط الساحلي لمدينة الجزائر وإهمالهم للجنوب الذين لم ينال حظه من الدراسة.
- تشجيع الأساتذة المشرفة لنا بدراسة هذا الموضوع.
- محاولة تدعيم إثراء حقل الدراسات التاريخية.

محاولة منا للطباعة الطريقة العلمية والأكاديمية في معالجة مضمون الدراسة درجنا إلى تصور إشكالية عامة رئيسيه : كيف ساهمت الرحلة في التعريف بالجنوب الجزائري؟ وما هو حال الأوضاع السائدة به آنذاك من خلال نظرة الرحالة المغاربة له وما صوروه لنا من مشاهد أثناء الفترة العثمانية 1518-1830 م ؟ ه وهل كان لنا دلالة على التبعية للدولة العثمانية ؟ وهل كانت هذه الأوضاع مساعدة على استقلاليتها والاحتفاظ بالحكم الذاتي ؟

تفرعت عنها مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما هي الرحلة وما أنواعها ؟
- كيف كان الواقع السياسي للأقاليم الصحراوية وما طبيعة نظام الحكم السائد بها من خلال كتابات الرحالة؟
- كيف صور الرحالة المغاربة الواقع الاقتصادي والاجتماعي للجنوب الجزائري من خلال رحلاتهم به أثناء العهد العثماني؟
- كيف كان الوضع الثقافي حسب هؤلاء بمختلف مكوناته من التعليم و عادات واحتفالات؟

للإجابة عن إشكالية الدراسة والتساؤلات المطروحة اعتمدنا على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي لوصف مختلف الجوانب والأحداث التي تحدث عنها الرحالة في كتاباتهم حول الجنوب الجزائري والذي يتناسب مع طبيعة الموضوع بالإضافة إلى المنهج التحليلي للكشف في عن بعض الثغرات من خلال المقارنة بين الرحلات التي تزامنت مع الفترة العثمانية في الجزائر.

أما الخطة المنتهجة لإنجاز هذا البحث فقد حاولنا الإحاطة بالموضوع قدر المستطاع فاعتمدنا في معالجة موضوعنا على مقدمة مرفوقة بفصل تمهيدي وفصلين آخرين اردفناهما بخاتمه وبعض الملاحق فبالنسبة **للفصل التمهيدي:**

تناولنا فيه الرحلة بصفة شاملة مع إعطاء لمحة عن الجنوب الجزائري خلال هذا العهد العثماني مقسما إلى **مبحثين** جاء الأول منها بعنوان **التعريف بالرحلة** والثاني تحت عنوان **التعريف بالجنوب الجزائري.**

أما **الفصل الأول:** المعنون بالتعريف بالرحالة الذين زاروا الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني 1518 – 1830 م، والذي اندرج تحت أربعة مباحث تطرقنا فيهم إلى مولد ونسب كل رحالة بالإضافة إلى حياته ، ومؤلفاته ووفاته بداية بـ : **الرحالة أبو سالم العياشي ثم محمد بن عبد السلام الناصري** ثم **أبي العباس الهلالي السلماني** و **أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي** .

و خصصنا **الفصل الثاني** والأخير للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة في الصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني من خلال كتب الرحلات المغربية والمصادر المحلية التي احتوى على أربع مباحث شملت مختلف مجالات التي عرفها الجنوب آنذاك.

وألحقنا البحث **بخاتمة** استخلصنا فيها أهم النتائج من هذه الدراسة وبعض الملاحق التي تخدم الموضوع .

أما المادة العلمية التي اعتمدنا عليها في انجاز هذا العمل فهي مقسمة بين كتب الرحالة المغاربة بالدرجة الأولى مثل العياشي والناصري بالإضافة إلى المصادر المعربة مثل ليون

الأفريقي في كتابه وصف أفريقيا ، مع الاعتماد على بعض المراجع والرسائل الجامعية مثل مولاي بلحميسي (**الجزائر من خلال الرحالة المغاربة**) فاطمة بلهواري (**وصف الجنوب في حكم العثماني من خلال المخطط الرحالة ابن العباس السجلماسي)** ناصر الدين سعيدوني(**دراسات وأبحاث الجزائر في تاريخ العهد العثماني)** جميلة معاشي **(الأسر الحاكمة ببايلك الشرق)**

لا يخلو أي بحث من الصعوبات كما قال " **أبو القاسم سعد الله** " طاقة كل باحث مقرونة بالزمان والمكان والوسائل، ومن هذا المنطلق فإن دراسة موضوع الجنوب الجزائري في العهد العثماني من خلال الرحالة المغاربة 1518-1830م لم تكن سهلة لوجود عقبات اعترضت سبيلنا في مقدمتها طول الفترة الزمنية مع وجود المادة التوثيقية شحيحة ،صعوبة الوصول إلى المادة التوثيقية الذي تزامن مع غلق المكتبات بسبب الفيروس المتفشي في البلاد وصعوبة التنقل. لكن هذا لم يثني من عزيمتنا على الاستمرار لإيماننا به و بقيمته التاريخية.

ومن هذا المنطلق لا يمكننا القول بأن هذه الدراسة قد استوفت حقها من البحث والتدقيق ولا ندعي أننا الممنا بالموضوع من كل جوانبه فإنه ما زال في حاجة إلى جهود أخرى ودراسات جديدة تزيد في إطراء الموضوع وتزيل عنه و تصحح خصوصا إن هذا الموضوع وليس بجديد لكن لا توجد حوله دراسات سابقة كثيرة سوى مولاي بلحميسي الذي اعتمدنا عليه بكثرة وهناك رسالة ماجستير بعنوان الحركة العلمية بالجنوب الجزائرخلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية لم نتمكن من الحصول عليها.

ومن هنا فقد هيأنا أنفسنا لتقبل أي انتقاد موجه لنا حول الآراء والاستنتاجات التي بدرت منا في هذه الدراسة فهي معرضة للصواب والخطأ آملين أنها ستلقى طيبا في نفوس قرائها.

الفصل التمهيدي:

التعريف بالرحلة والجنوب الجزائري

عرف الجنوب الجزائري كغيره من المناطق المشرق الإسلامي العديد من المراحل ومن الرحلات والتي كان اغلبها من مناطق الغرب الإسلامي باعتبار هذه المنطقة معبر القوافل الحج ومنطقة تلاقي القوافل التجارية القادمة من السودان والسواحل، ولهذا القادمة من طرابلس المغرب والمغرب الأقصى والرحلة موجودة منذ القديم ومع مرور الوقت شكلت هذه الرحلات مادة تاريخية هامة تؤرخ لكل مرحلة من مراحل حياة الإنسان والحقبة الزمنية الخاصة به.

المبحث الأوّل: التعريف بالرحلة

المطلب الأول :الرحلة

عرف الإنسان الرحلة أو الترحال والتنقل بفطرته أي منذ بدء الخليقة فمنذ أن وطأة أقدامه الأرض وهو يسعى جاهدا لاكتشاف ما يحيط به من أسرار استكشافية صعبة الظروف قاصدا التعرف على المجهول وسعيا وراء الرزق له و لحيواناته[1]، وقد اشار القران الكريم الى رحلتي قريش التجاريتين في الصيف والشتاء إلى الشام واليمن في قوله تعالى: "" **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)**[2] ""، ما نجد ورد لفظ ""**رحل**"" في الكتاب المنزل بمعنى البعير ""**الراحلة**""، في قوله عزوجل ""**فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**"" **الآية(70)**[3].

وقد أدلى القران الكريم الغرائم في مواطن مختلف ليحميها على اقتحام القفار و البحار والقوافل في الصحراء و الارتحال و الاستطلاع للعجائب وكشف الجديد[4]، في هذا الصدد يقول الله تعالى داعيا إلى السير والضرب في جوانب الأرض "" **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**"" **(15)**[5]، وقال تعالى:"" **أيضا وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24)**[6] ،كما نشأت الحاجة كذلك إلى تدوين السنة الشريفة وعن الرحلة نجد ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشجع أصحابه على الرحلة و يحثهم عليها بغية طلب العلم

---

[1]– **خيرة الطيار** الرحلة والرحالة في الدولة العثمانية، **نموذج أطروحة لنيل شهادة الماجستير كلية العلوم الإنسانية** والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2،2012 – 2013 ص 13.

[2] –القران الكريم، سورة قريش، رقم الآية ،1،2،3،4.

[3]– القران الكريم، سورة يوسف، الآية 70.

[4]– **نوال عبد الرحمن الشوابلة**، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع عشر هجري، تقديم صلاح جرار، دار المأمون للنشر والتوزيع، 1428 هـ / 2008م، ص 21 .

[5]– سورة الملك الآية، رقم 70.

[6]– سورة الرحمن ،الآية رقم 24 .

ونشر الإسلام، وكذا التأمل في الكون والتدبير في آيات الله عزوجل و من بين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي يحث على الرحلة لطلب العلم نذكر: عن أبي هريره قال قَال: سمِعْتُ رَسُول اللَّهِ ﷺ، يقولُ"" **منْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ علْمًا سهَّل اللَّه لَه طَرِيقًا إِلَى الجنةِ**""[1]

وكما جاء في المفاهيم اللغوية للرحلة التي تعددت واختلفت بين الدارسين لها أن الرحلة كفعل أساسه الحركة يمثلها التنقل المرتبط دوما بنقطة يمثلها حرف الجر((من)) نقطة وصول يمثلها حرف ((إلى)) وهما الحرفان الدالان على الحركة داخل المكان، والرحلة كما هو معروف عرف عرفها الإنسان منذ خلق، فقد تحرك على وجه الأرض رغبة في طلب العيش اكتشاف المجهول وبحث عما يضمن له البقاء[2].

حيث عرف مصطلح الرحلة في العديد من المعاجم العربية القديمة، حيث ربط العرب بين مفهوم الرحلة والرحالة المرتحلون، وفي هذا الصدد جاء في معجم مقاييس اللغة ان الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على معنى في اللغة ، ويقال رحل يرحل، رحلة، وحل، رحيل ذو رحلة، اذا كان قويا على الرحلة والرحلة، الارتحال، ويقال راحل فلان فلانا، إذا عاونه على رحلته، ورحل إذا أضعته من مكانه[3]، أما عن لسان العرب ابن منظور فعنده الرحلة والارتحال والرحلة بالضم للوجه الذي تأخذ فيه تزيده تقول انتم رحلتي أي الذين ارتحل إليهم و الرحلة أي قوه على المسير[4] .

ويرى أيضا أن الرحلة عدة معاني منها السير وورد لفظ الرحلة في موضوع آخر بمعنى الانتقال من مكان آخر الترحل والارتحال والانتقال، وهو الرحلة والرحلة وارتحل اسم الارتحال

---

[1]– **ياسمين شرابي**، الموروث الثقافي في الأدب، الرحلة الجزائري، نماذج من رحلات القرن العشرين، أطروحة **لنيل درجة الماجستير كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي**، جامعة البويرة، الجزائر ، 2012، 2013 ،ص 24 ص.

[2]– **الطاهر حسني**، الرحلة الجزائري في العهد العثماني بناؤها الفني أنواعها وخصائصها، **أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الأدب العربي**، جامعة ورقلة ،الجزائر، كلية الأدب واللغات، 2019، 2014 ص 5.

[3]– **أبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة**،تج، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت 1997 ،ج2، ص497.

[4]– **ابن منظور لسان العرب**، تح، عامر احمد حيدر، مجلد 11 ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 2003، ص203.

للمسير..... ومن معاني الرحلة وردت كذلك في اللسان العرب الوجهة أو المقصد الذي تزيدها كما تعني السفرة الواحدة[1] ،وجاء في معجم دائرة المعارف القرن العشرين على أن الرحلة في يرحل رحلا ورحيل وترحالا، أي ذهب والرحلة بضم الراء للجهة التي يقصد المسافر يقال لمكة رحلتنا وهو عالم رحلتنا أي يرحل إليها[2].

أما عن المفهوم الاصطلاحي هو لا يبتعد كثيرا مفهومها لغة إذا يشتركا في الصفة اللازمة بفعل الارتحال وهي الحركة، غير أننا نلمس من خلال عرض أقوال بعض الأعلام والإشارة إلى الفوائد يجدها الإنسان من وراء الرحلة مثلما نجده في قول الرحال "**أبي الحسين علي المسعودي**" ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمي إليه من أخبار إقليميه كمن قسم عمره قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه وإثارة كل نفيس من مكمنه، وهذا القول يضم الإيمان القوي للرحالة العرب بضرورة أخذ العلوم والمعرفة والأخبار الفريدة من منابعها الأصلية والوصول إلى الحقيقة بالمعايير والمشاهدة الفعلية وعدم الاكتفاء بالقراءة والسماع[3].

من خلال تحديد مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا يتضح أن المفهومين لا يبتعدان كثيرا فهما يشتركان في معنى واحد، ومفهوم أخر هي الحركة وهذه الحركة يحقق منها الإنسان فوائد عدة فالشخص الذي يقوم بالرحلات ليس هو نفسه الشخص الذي يبقى في مكانه ولا يتحرك وقد أشار إلى ذلك **المسعودي** ،وتبقى الرحلة اعم واشمل من السفر لان في السفر يقطع مسافات معينة، أما الرحلة فتكون الانتقال من مكان إلى مكان أخر تقطع فيه مسافات كثيرة وبعبارة الرحلة تعني الانتقال من مكان لأخر لتحقيق هدف معين مادي كان ذلك الهدف أو معنوي، أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السفر وجمعه أسفار[4].

---

[1]– مرجع نفسه، ج1 ،ص 179.

[2]– **محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين،**(الرابع عشر العشرين)، مجلد رقم 4، دار الفكر، بيروت، ص 201 .

[3]– **سميرة أنساعد،** الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة النشأة والتطوير والبنية، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2009 ،ص21.

[4]– ياسمينه شرابي، المرجع السابق، ص 26.25.

المطلب الثاني: أنواع الرحلة

تعددت وتنوعت الرحلة بتنوع إغراضها وأهدافها حيث اختلف الدارسون في تصنيفها فقد قيل أن صلاح الشامي حددها وهي ستة أنواع ورأى ""**محمد الفهيمي**"" بان عددها خمسة عشرة نوعا ونظرا للتداخل الموجود بينهم يمكن التركيز على الأنواع شيوعا وهي كالتالي:

1-/ الرحلة الدينية:

تعد هذه الرحلة من بين الدوافع الأساسية التي أدت بالمغاربة إلى القيام بالرحلات لقوله تعالى:"" **وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**""[1]، وعمل على تطبيق الواجب الديني الذي حفزهم على الارتحال، و هنا نود قول" **محمد حسين**" فهم نقلا عن "**محمود الصياد**" أن الحجاج كانوا يجتمعون في قوافل تبدأ صغيرة ثم تنمو كلما تقدم بها الطريق مما ينظم إليها من وفود حتى يصبح في النهاية للعراق حجيجا وشام حجيجا و إفريقيا حجيجها وتسير القافلة في ألفة ونظام وتعاطف شامل يحميها الجنود الحكام و يرحب بها سكان المدن والقرى في معظم الأحيان ويزداد الترحيب كل ما زاد في القافلة عدد العلماء ورجال الدين[2]، ولان الحج فريضة على كل مسلم قادر فهو أمنية كل مسلم، ومن أهم الوشائح التي ربطت بين المشرق والمغرب وعملت على توجيه الثقافة في سائر أنحاء البلاد الإسلامية على الرغم من المسافات الشاسعة التي نستطيع القول أنها لم تكن عائقا بين الرحالة وهذا المكان المقدس كما نجد من أهم العوامل الأساسية لشد الرحال نحو المشرق من غير الحج هي زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والمزارات الدينية كالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين وقبور الأنبياء والصحاب والأولياء[3].

[1]- القرآن الكريم، سورة الحج، الآية27 .

[2]- سميرة انساعد، المرجع السابق، ص28.

[3]- يسمينة شرابي، المرجع السابق، ص26

2-/ الرحلة في طلب العلم:

والمقصود بها تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان عموما والأخذ عن علمائها بصفته خاصة[1]، وكان هدف الرحالة هو جلب الكتب والمصادر من الشرق و الاطلاع على المكتبة مما وجد فيها هناك، فكان يرجع وهو محمل بأهم المصادر و التآليف المفيدة لعلماء التقى بهم واستفاد منهم في البلدان التي حل بها و من بين هؤلاء الرحالة نذكر: **ابن الرشد** الذي ادخل مؤلفات بعيرها إلى المغرب[2] ، وفي كثير من الأحيان نجد هذه الرحلة ترتبط بالدين والدنيا معا فقد روي **عن الرسول صلى الله عليه وسلم** ، "" **اطلبوا العلم ولو في الصين**"" ،كما حث الإسلام على طلب العلم و ميز العلماء عن غيرهم في قوله تعالى:"" **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**"" ، وهكذا فقد غدا الارتحال في طلب العلم منذ القرن الأول هجري أشبه بالضرورة اللازمة لتكملة الدورة الدراسية في طلب العلم رحل الناس من الأندلس إلى بخارى ومن بغداد إلى قرطبة ومن هنا تتم الإشارة إلى الفقيه الاندلسي **اسعد الخير الأنصاري** المتوفى عام (1146م) الذي نعت بالصيني لارتحاله إليها طالبا العلم[3]، وما ساعد على نشر العلوم والمعارف هو حضور الندوات والملتقيات العلمية والأدبية، كما ساعدت الرحلة على اكتشاف مواطن الناس على هذه الأرض وعرف الانسان بمدى انتشاره فيها ومدى الاختلاف الواقع بينه وبين الآخرين في لغاتهم وعاداتهم وطقوسهم الدينية وطرائق عيشهم[4].

3-/ الرحلة للسفارة:

ويضع كل من الرحلات التكليفية والإدارية والرسمية وهي الرحلة يقوم بها الرحالة بطلب من الحاكم لقضاء حاجة قد تتعلق بشان البلاد ، كما قد تخص الحاكم نفسه، كما قد يكون هذا النوع

---

[1]- **أبو القاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار المغرب الإسلامي،ط1 ،1830م،ص382،383.

[2]- **الحسن الشاهدي**، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المارياني،ج1، منشورات عكاظ للرياض،د.ط، الرباط ،ص 192.

[3]- **محمد رشيد الفيل**، اثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب ،**بحوث جغرافية** ،جامعة الكويت ، 1979 ،ص 12.

[4]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 27.26 .

بهدف التجسس والاستطلاع كرحلة سلمان الترجمان عام 227م /841م والتي كانت بتكليف من الخليفة الواثق بالله قصد معرفه حقيقة سد العين الكبير الذي يقال أن الاسكندر بناه بين العالم وديار يأجوج ومأجوج[1]

كما تخص هذا النوع من الرحلات النشاطات المختلفة وأهمها توطيد العلاقات بين الدول العربية والدول الغربية و غيرها[2]

4-/ الرحلات الاستطلاعية:

وهي رغبة صاحب الرحلة وميوله للسفر ساعيا للاكتشاف المغامرة ومعرفه جديدة للطبيعة والبشر واكتساب الخبرات[3]، وفي هذا الصدد نذكر **الحسن بن محمد الوزان الفاسي** المعروف عندهم بالأسد الإفريقي والذي شرع في رحلة المشرق حوالي(1518، 1516)، وسميت رحلته هذه بوصف إفريقيا[4] وقد أشار **أبو القاسم سعد الله** في كتابه و أبحاث و آراء إلى الرحالة **ابن الدين الاغواطي** الذي دون رحلته أواخر العشرينات القرن الماضي 19م، وذلك استجابة للطلب **ويليام هودسون** مساعد القنصل الأمريكي ويليام شاكر لما جاء إلى الجزائر سنة 1825م[5].

المطلب الثالث: أهمية الرحلة

للرحلة أهمية كبيرة تكمن في كونها متفرعة ومتنوعة المعارف العلمية الدينية الاستكشافية وغيرها حيث ساهمت في معرفة وصف المناطق ومختلف الطرق التي تسلكها القوافل وهذا ما جعل الرحلة وسيلة وغاية للعديد من العلماء والباحثين في مختلف مشارق الأرض[6].

---

[1]- يسمينة شرابي، المرجع السابق، ص28.

[2]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 30.

[3]- **فؤاد قنديل**، آداب الرحلة من خلال الرحالة المغاربة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2 ،2002 م، ص20.

[4]- **مولاي الحميسي**، الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثماني، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية للدرسات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 م، ص 11.

[5]- **أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**،ج2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، خاصة، 2015 ،ص 244،

[6]- مشوشة سمير، ابن حمادوش و أبو الراس الناصري يؤرخان العلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18 ،جامعة عباس لغرور، خنشلة،الجزائر ص86.

حيث كان هؤلاء يسجلون انطباعاتهم كل حسب ممولهم وتكوينه فمنهم من غلب على كتاباته الطابع الديني ومنهم من اهتم بالعلم والمدن ووصف المسالك والممالك، حيث أصبحت أعمالهم لا غنى عنها للمؤرخين والجغرافيين والأدباء وعلماء الاجتماع[1]، فعني الرحالة العرب بالأمور الاجتماعية عناية شديدة، حيث تحدثوا عن أصالة البشر الذين وجدوهم في المناطق التي قصدوها وتطوير الحالة الاجتماعية التي كانوا عليها من طبائع الشعوب وأخلاقهم وعاداتهم في مختلف المناسبات كذلك على العلاقة بين المسلمين والحكام الغير المسلمين الذين يعيشن في كنفهم وهذا ما اكسب رحلاتهم أهمية كبيرة إذ جعلتها مصدر لا يستغني عنه المؤرخين وعلماء الاجتماع[2]، وللرحلة قيمة علمية كونها تحتوي على الكثير من المعارف والجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما يدونه الرحالة جراء اتصاله المباشر بالطبيعة والحياة خلال رحلته بالنسبة للقيمة الأدبية في الرحلات فهي تتجلى فيما تعرض موادها من أساليب ترتفع به آداب الرحلات من تنوع أسلوب من سرد القصص إلى الحوار إلى الوصف وغيره[3]، وقد تميز الرحالة المغاربة والأندلسيين بميزات خاصة في تدوينهم لرحلاتهم، فكل رحالة يكمل ما نقص من سلفه ويضيف لفن الرحلة إلى إيتاء جديدة أعطته عن صفته و ميزته عن باقي الرحالة المسلمين في العالم الإسلامي ولا شك أن الرحلات المغربية والأندلسية ظهرت أدبيه وتاريخية واضحة جلية ولهذه الرحلات المدونة الفضل في إمدادنا بالمعلومات قيمة لم يدرجها مؤلفيها في وقت تدوينها وخاصة أنهم أودعوا فيها معظم شهاداتهم ولم تعمل الرحلة الجانب الاقتصادي، حيث تطرقنا الى ذكر .؟.. الاقتصادية والمراكز والطرق التجارية أنماط المعاملات وأنواع العملة وبالتالي فهي مصدر كافي للتعرف وفهم الأمور الاقتصادية[4] .

---

[1]– **أبو القاسم سعد الله**، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 ،ص 203.

[2]– حسين نصار، أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة والنشر القاهرة ط1، 1991، ص121 – 122.

3– حسين محمود حسين، آداب الرحلة عند العرب دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ط 2 ،منقحة، 1983 ،ص 76.

4– **عواطف محمد يوسف نواب**، الرحلات المغربية والأندلسية، **مكتبه الملك فهد الوطنية أثناء النشر**، الرياض، 1992 ،ص 91 – 92.

ولقد زاد دور الرحلات المغربية أهميه لما فيها من أخبار أو إشارات حول المدن والتل والصحراء والقبائل والتجارة[1] ، وتفاوتت قيمة هذه ملاحظات أصحاب الرحلات وأهميتها تبعا لاهتمام صاحب ألرحلة، وتعد هذه الملاحظات على درجة كبيرة من الأهمية لأنها تمثل رواية شاهد عيان حقيقي[2] و بتالي فإن كان الإنسان رحالة ينتهي بانتهاء طريقه و دلالة على الموت فان هذا الطريق يسمح بالامتداد في الزمن عن طريق الكتابة، وعلى هذا الأساس فالكتابة رؤية للعالم إلى الحد الذي وجد فيه من بين الرحالة من يصف كل دقيقه وكل شعور[3].

المبحث الثاني: التعريف بالصحراء الجزائرية:

المطب الأول : مفهوم الصحراء

يعد تاريخ الصحراء الجزائرية جزء من تاريخ الجزائر العام الذي يمثل وحدة متماسكة الحلقات ولم ينفصل بها القسم الصحراوي عن البلاد إلا لظروف استثنائية وملابسات خاصة وتدل الدراسات الأثرية على تواجد بشري وقيام حضارات عريقة تعود إلى آلاف السنين والجديد بالذكر إن هذه المناطق التي تكون في تلك الفترة صحراء قاحلة بل كانت مناطق ذات أمطار غزيرة ونباتات كثيفة وهي تمثل مراكز استيطان وحضارات ناضجة وقد تعاقبت على الجزائر والصحراء أمم عديدة منذ العصور الحجرية إلى الفتح الإسلامي منهم الامازيغ السكان الأصليون والفينيقيون وان كان لم يتوغلوا إلى الداخل إلى قليلا ثم الرومان والروم البيزنطيين الذين شيدوا قلاعا وحصونا على التخوم الشمالية للصحراء وكان من العرب الذين وفدوا من شبه الجزيرة العربية خلال الفتح الإسلامي وبعده أثر كبير في تغيير شمال أفريقيا عامة والصحراء الجزائرية خاصة قد استطاعوا

1- مولاي الحميسي، المرجع السابق ،ص 15.

2 - عبد الواحد ذنون طه،الرحلات المتبادلة بين المغرب والإسلامي والمشرق ط 1، دار المدار الإسلامي، 2004 ،ص 75.

3- عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن 14 ،مستويات السرد، ط1 ،دار السويدي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 2006م ،ص 28.

أن ينصهروا من السكان الأصليين المكونين بذلك أمه واحدة يرجع الفصل في تماسكها و تآخيها إلى الدين الإسلامي واللغة العربية[1]

اغلب التعريفات في المراجع والكتب تذهب إلى أن هناك صعوبة في تعريف الصحراء، حيث تم الاتفاق على مبدأ أنها منطقه جافة، منبسطة وواسعة جدا بها عدد قليل من السكان واغلبيه أرضها قحطاء ورملية[2] ، ولقد عرفت الصحراء من الأرض في معجم لسان العرب لابن منظور على أنها تلك المستوية في لين وغلظ دون القف ، وقيل إنها الفضاء الواسع الذي لا نبات فيه ، والصحراء من الأرض مثل ظهر الدابة الأجر ليس بها شجر ولا جبال ملساء وجمع صحراء صحراوات ، وصحاري ، وهي مؤنث الصفة ويقال أصحرأي الذي يضرب لونه من الحمره إلى الغيرة[3] ، كما عرفت أيضا على ارض غير مزروعة ، ه ومكان قفر متروك وغامض، صحراء تعبير نباتي تعني افتقار الإقليم للحياة النباتية و الحيوانية لكن هذا لا يعني الفقر التام إذ مما لا شك فيه إن هناك حياة نباتيه وحيوانيه في الصحراء[4] ، وفي تعريف آخر اعتبرت الصحراء منطقة جرداء من كل حياة تقريبا أنها منطقة عبور بين السودان وساحل البحر الأبيض المتوسط حيث العلامات البارزة فيها هي طرق المواصلات بين هذين المنطقتين مع بعض المراكز المأهولة المنثورة على طول هذه الطرق[5] .

---

[1]– **إبراهيم مياسي ، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغرب الجزائري** ، (1884م–1912م) ، المتحف الوطني للمجاهد و ثورة اول نوفمبر ،الجزائر ،د.ط ، 1996 م، ص 24 .

2 – **المشير دوك دي دوماس ،صحراء الجزائرية، تر، قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية** ص 19.

[3]– ابن منظور ،مرجع سابق، ص .9

4– أحسن دواس،**صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19 من خلال الرحالة الفرنسيين، مذكرة ماجستير في الأدب المقارن، بجامعة منتوري قسنطينة، 2007/2008م ، ص 9** .

[5]– **عبد القادر ميهص** ، الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراستهم ، مطبعة مزوار، الوادي الجزائر ، ط2 ، 2015م ، ص123.

المطلب الثاني: الموقع الجغرافي للجنوب الجزائري

إن الجنوب الجزائري جزء من الصحراء الكبرى الأفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا ويحدها من الشمال الجبال الأطلسية ومن الشمال الشرقي ساحل البحر الأبيض المتوسط، أما من الناحية الجنوبية فيحدها ما يعرف ببلدان ساحل[1]، وينتصر الإقليم الصحراوي الشرقي بين الهوامش الجنوبية للأطلس الصحراوي شمالا ، وتونس وليبيا شرقا ، والنيجر هضبة تادمايت غربا ، كما يمكن تحديد هذا الإقليم من ناحية الغرب بخط طول 3 شرقا المار بالجزائر.

في حين يحدد الإقليم الجنوبي الغربي بمعالم طبيعية واضحة تتمثل في السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية شمالا وهضبة تادمايت شرقا وكل من المغرب الأقصى والصحراء الغربية وموريتانيا ومالي غربا وجنوبا[2].

في حين قال عنها بوتان في مشروعه " مساحة المملكة الجزائرية وتقسيمها الإداري" بأن هذا الاخيره (الصحراء) مازالت مجهولة ما يبلغ طول البلاد حوالي 250 فرسخا أما عرضها فيختلف من جهة أخرى أي بين 90 ، 80 ، 70 ، 50 ، فرسخا[3]

تضاريس الصحراء[4]: إلى الجنوب من الأطلس الصحراوي تمتد الصحراء مشكله عمق المجال المغاربي لتوغلها في القارة السمراء ء ويغلب عليها طابع الرتابة مع احتوائها لكل أشكال التضاريس

الأحواض والمنخفضات : هي مساحة شاسعة تغطيها الكثبان الرملية ترسبت بفعل الحث والنقل أهمها العرق الشرقي والعرق الغربي وعرق مرزوق .

---

[1]– إبراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص 19.

[2]– اعشي مصطفى،نماذج من التواصل الحضاري بين شمال أفريقيا خلال عصور ما قبل التاريخ ، معهد الدراسات الإفريقية ،جامعة محمد الخامس، الرباط، ص 12.

[3]– فريد بنور،الجواسيس الفرنسيون في الجزائر، 1782 – 1830 م ، دار الواحة ، الجزائر، ص 406 .

[4]– أحسن دواس ، المرجع السابق، ص 13 – 14 .

السهول الصحراوية: تسمى الرق ويغطيها الحصان نتيجة الرواسب الصخرية من جرائم السيول الجارفة قديما.

الهضاب الصحراوية: تشغل أكبر مساحة من الصحراء وهي نوعان: الحمادة ، وهي هضاب جيرية تنحدر من سفوح الأطلس الصحراوي الجنوبية مثل تادمايت و قير و والحماده الحمراء ،و هضاب رملية مثل الطاسيلي حفرتها الرياح عن طريق الحت .

الجبال : تشغل مساحه قليله و هي بركانية قديمة التكوين على شكل قباب باللورية فوق سطح هضاب قديمه بدورها ، أهمها الهقار وجبال العوينات[1] .

- المناخ:

إن الوضع الجغرافي له انعكاس مباشر على المناخ حيث يتميز بجنوب الجزائر عامه والجنوب الغربي خاصة بمناخ قاري قاس ي في فصل الصيف ترتفع درجات الحرارة إلى أكثر إلى أكثر من 50 درجة تحت الظل ، كما تنخفض في فصل الشتاء إلى درجة 0 ، وبهذا يكون المدى الحراري بها كبيرا جدا.

بالإضافة إلى ذلك تتعرض الصحراء لهبوب رياح جافة وفي بعض الأحيان مثيرة زوابع رملية ، تعرقل جميع أنواع النشاطات البشرية [2]، وقد يتجلى الاختلاف وتوزيع كمية التساقط في بلاد المغرب عامة فإذا كان الغرب المغرب الأقصى يتلقى أكبر الكميات بفعل المحيط الأطلسي والرياح

الغربية والشمالية الغربية فان الجزائر ومن بعدها ليبيا تتلقى كميات أقل وهي محصورة في المناطق الشمالية خصوصا الساحلية وقد انعكس هذا التوزيع على المياه الجارية والأنهار، فالوقت

[1]– **قعر المثرد السعيد** ، الزراعة في بلاد المغرب القديم (ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة ، سنة 143 ق م ، مذكرة **ماجستير تاريخ قديم** ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2007 / 2008 م ، ص 18.

[2]– إبراهيم مياسي، المرجع السابق ، ص 21 .

التي تشهد الجهات الغربية الجزائرية جريان دائما للأنهار فإن أودية الصحراء الجزائرية فهي نادرة الجريان وتعرف بالأودية الكاذبة[1].

النباتات:

قد كان للظروف المناخية انعكاسا على الحياة النباتية التي تتميز بالضالة لتحملها الجفاف والحرارة المرتفعة والبرودة الشديدة في نفس الوقت ويوجد في الصحراء الجزائرية 500 نوع من النباتات التي هي على العموم قصيرة وسميكة وتنتشر في الواحات الغربية أنواع كثيرة من النباتات أهمها على الإطلاق شجرة النخيل المنتجة للتمور الذي يعتبر الغذاء الأساسي للسكان ضيف إلى ذلك الخضر والفواكه كالطماطم والعنب والرمان كما تشتهر المنطقة بإنتاج أنواع خاصة من النباتات كالحناء و التبغ[2] ، وتعتبر النباتات في الصحراء من حيث الأصناف محدودة وفي بعضها منعدمة وتسمى "تنزوف"[3].

المطلب الثالث: التركيبة البشرية

يتميز الجنوب الجزائري بقلة السكان رغم المساحة الشاسعة وبذلك فهم ينتظمون داخل بيئة اجتماعيه ذات طابع بدوي نظرا للظروف الطبيعية المتحكمة في حياتهم وخاصة منها ندرة المياه لان وجود المياه بكميات كافية يسمح بممارسة الزراعة ومن ثم الاستقرار، أما نقصانه فيعني البداوة والترحال والتشتت لذلك يصنف السكان إلى صنفين هما البدو والحضر[4].

1- سكان البدو:

أما بالنسبة لسكان البدو في تعريف العياشي فيقصد بهم البدو الرحل والأعراب الذين يشكلون غالبية المجتمع الصحراوي، فضلوا ينتقلون ويرتحلون ويضربون مضاربهم عند أسوار القصور أو بقربها بجانب غابات النخيل حاملين معهم كل ما يملكون من أقوات ومتاع وحيوانات

[1]- قعر المثرد السعيد، المرجع السابق ، ص 20.

[2]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق ، ص 22.

[3]- علي زين العابدين، المرجع السابق ، ص 275.

[4]- إبراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص 22-23 .

من قطعان المواشي التي شكلت ثروتهم الأساسية، فهم لا يفلحون الأرض إلا بقدر ما تضطروهم الحاجة بكسب قوت العيش[1]، فالبدو يقومون بالانتقال في بداية الصيف إلى الشمال نحو الهضاب ثم العودة إلى الصحراء في أواخر فصل الخريف وهي هجرة موسمية يقوم بها جميع القبائل البدوية، كما تستمر عملية الترحال داخل الصحراء طيلة السنة من طرف قبائل الشعابنة والطوارق وسكان الواحات[2].

2- سكان الحضر:

أما سكان الحضر هم أصحاب المدن والقرى سكنوا قديما مما شكلا في مجموعه فئات قاطنة في المدن والقصور والدول المبنية بالطوب والحجارة وكذلك مما يميز بوضعهم الاجتماعي الخاص والذي جعلهم يشكلون طبقه اجتماعيه ميسورة وذلك لأنهم عملوا بالأنشطة التجارية وكذا الأنشطة الزراعية خارج المدن حتى أصبحوا مدنهم محاطة بالأسوار عبارة عن ضياع[3]، أما عناصر السكان وتنحدر من أصول ثلاثة من أغلبية السكان المغرب العربي الكبير الامازيغ والعرب والزنوج، وقد تم بين هؤلاء السكان عبر التاريخ تمازج واختلاطا وانصهرت هذه العناصر في مجموعة واحدة مكونة بذلك أهالي الجنوب الجزائري ضمن مجتمع متجانس له نفس العادات والتقاليد وزاد الدين الإسلامي من ترابط الأفراد هذا المجتمع والجدير بالذكر أن فئة قليلة قد حافظت على نقائها وطوارق الذين في ينحدرون من أصل أمازيغي ويلقبون بالملثمين لأنهم يضاعون اللثام على وجوههم بينما نسائهم عاريات الوجه ويتكلمون اللهجة الأمازيغية القديمة تسمى تمهالك ويعيش هؤلاء على تربية الحيوانات وجزء بسيط من الزراعة[4].

---

[1]- **عبد الحميد زوزو**، الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي،مجلة الأصالة، العدد 41 ،1977م،ص 101.

[2]- إبراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص 23 .

[3]- سعيدوني ناصر، المهدي بوعبدلي ، الجزائر في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب،د،ط،1984م،ص 97.

[4]- إبراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص 23 .

الفصـــل الأول:

التعريف بالرحالة

قبل التطرق إلى دراسة موضوع الأوضاع السائدة في الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني وجب علينا إعطاء لمحة البعض الرحالة المغاربة الذين اهتموا بهذا الجانب وخلفوا لنا مصادر مكتوبة تروي تاريخه لحقبة من الزمن سواء بغار ديني وهو أداء فريضة الحج أم علمي بهذا التحصيل مختلف العلوم ومن ابرز هؤلاء الرحالة الذين تميزوا بكتاباتهم و استقطبوا اهتمام الباحثين والدارسين

نذكر من بينهم : أبو سالم العياشي، محمد بن ناصر الدرعي ، الهلالي السجلماسي ،ابي عبد الله الحضيكي و في هذا الفصل حاولنا التطرق إلى سيرة كل رحالة .

المبحث الأول: الرحالة أبو سالم العياشي

المطلب الاول: مولده و نسبه

هو أبو سالم عبد الله ابن محمد ابن أبي بكر العياشي نعت بالشيخ الإمام الرحالة الأديب المهام الحافظ الحجة، ونسبته العياشي ترجع إلى آيت عياش إحدى القبائل البربرية المقيمة على حدود الصحراء في جنوب الشرقي للمغرب[1]، ولد ليلة بقيت من شعبان أي 30 شعبان 1037 هـ 04 ماي 1628[2] ، في قرية تازروفت الواقعة في الأطلس الكبير على ضفة احد روافد نهر زير[3] وهو من أعيان المغرب الذين تركوا بصمات بارزة في التاريخ المغربي[4] ، و كان أبوه شيخ زاوية وادي درعة وتتلمذ لمحمد بن ناصر ثم عاد إلى فاس، حيث أكمل تعلمه على يد مشايخ مثل: عبد الرحمن بن القاضي وعبد القادر الفاسي الذي أجازه سنة 1063 هـ، 1653 م، ثم انتقل إلى المشرق وأقام بعواصمه طلبا للعلم للمرة الأولى سنه 1063 هـ، 1653 م،و المرة الثانية سنة 1064 هـ، 1654 م،و المرة الثالثة سنة 1073 هـ، 1661 م[5]، وقد حرص هذا الأخير على

---

[1]– عواطف بنت محمد يوسف نواب، مرجع سابق، ص45.

[2]– أبو سالم العياشي، مصدر سابق، ص17.

[3]– زيز : هو واد يقع في الشمال الشرقي للمغرب قرب مدينة تاوريرت و يصب في نهر ملوية ، أنظر كتاب : وثائق تاريخ المغرب ، الجزائر بالمغرب، خليفة حماش.

[4]– عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة المكرمة ،2005 م، ج1،ص113.

[5]– مولاي بن حمدي مرجع سابق،ص 17.

الأخذ عن علماء بلده وخاصة شيوخ الزاوية العياشية[1] ، قبل أن يشد عوده فيؤثر الرحلة إلى المشرق فيقول في رحلته الحجية: وكانت أول معاناتي لطلب وتشبثي باذيال الأدب، كلفا بالرواية، و مستروحا إليها من أثقال الدراية، فأخذت عن الأعلام الذين ادر كتهم بالمغرب قليلا، فلم يشفي ما لديهم مما أجد غليلا ولا أبرأ عليلا، لأنهم اقتصروا من الكتب على ما أنستهم واستغنوا بما غاب بما ظهر......[2] ،والمعروف في حالة العياشي أن كنيته "" أبو القاسم أبو سالم"" التي حملها كانت شرفية خاصة للشهرة وانه حصل عليها في مصر من السيد أبي اللطف الوفائي أستاذه الذي أجازه وشرفه بها والحقيقة انه كان يمكن الخلط بين العياشي الرحالة وبين المجاهد[3] المرابطي العياشي أبو عبد الله محمد، وهذا ما نبه عليه القادري صاحب المثاني لأهل القرن الحادي عشر.

الذي حاول التفرقة بين العياشين عنده عن طريق تقسيمهم إلى جماعتين إحداهما عربية[4]، أو مستعربة والأخرى بربرية[5] ، مغربية وان أفراد الجماعة الأولى ومنهم المجاهد وابنه عبد الله يعرف الواحد منهم بالعياش (بباء نسبه) بينما تعرف الجماعة الأخرى بآيت عياش أو العياش (مع أداه التعريف)، ورحالتنا كان فرع العياشية (البربر)، وليس العياشية العرب الأمر الذي جعل لا يؤيده

---

[1]- **الزاوية العياشية:** تقع الجنوب ميدلت من إقليم تافيلالت بـ 60 كلم، حيث تعرف هذه القرية الصغيرة المبنية على الشكل القديم المباني الإقليم بزاوية سيدي حمزة بعدما كانت تعرف بالزاوية العياشية وبزاوية أبي سالم وزاوية سيدي محمد بن علي بن أبي بكر وهذا الأخير هو مؤسس الزاوية والجد الأعلى لكثير من سكانها ،؟أنظرا جريدة الأنباء نايف شرار، 2014/03/14.

[2]- أبو سالم العياشي ،مصدر سابق، ص 29 – 30

[3]- **المجاهد:** هو محمد بن احمد المالكي الزياني العياشي المعروف "بالمجاهد العياشي" ولد عام 980 هجري وكان طالبا بمدينه سلا فقد صاحب الوالي الصالح عبد الله بن حسون الذي اخذ عنه العلم والتصوف ، خاض معارك ضارية بين 1604 إلى 1615 ضد البرتغال وانتصر في غزواته وبعد وفاته رحمه الله حمل المجاهد "الخضر غيلان" راية الجهاد ضد المستعمرات الأوروبية، انظر مجلة نون رواق قانون 11 اغسطس 2016.

[4]- **العرب:** امة العرب امة: السامين منشؤهم بشبه الجزيرة وانتشروا من الخليج إلى المحيط بعد الفتوحات الإسلامية: بلاد العرب، انظر المعجم الخفي.

[5]- **البربر:** اسم يطلق على شعب الامازيغ وله لغته الخاصة أكثره قبائل تسكن الجبال في شمالي إفريقيا أسلمت وشاركت في فتح الأندلس بقياده احد أبنائها طارق بن زياد اختلطت بالعرب ومنها الاغالبة والمرابطون والموحدون ومن البربر أمة أخرى يقيمون بين الأحباش والزنج على ساحل بحر الزنج وبحر اليمن ،انظرالمعجم العربي.

تبحر في العلوم العربية فضلا عن العلوم الإسلامية خاصة فقه مالك مذهب أهل المغرب بامتياز [1]

و قد علي العياشي بنعوت تدل على مكانته العلمية والاجتماعية فقد وصفه الافراني أحد من أحيا الله بهم طريق الرواية بعد أن كانت شمس على أطراف النخيل وجدد من فنون الأثر كل رسم محيل[2] ، كما وصفه أبو علي اليوسي: بالبارع الفاضل، واتصف العياشي بحب الحديث وسعيه لطلب علو الإسناد حتى قال عنه حفيده أبو عبد الله محمد كان كلفا بالرواية مستريحا إليها من أثقال الدراية علما منه أن علو الإسناد مرغب فيه عند جميع النقاد[3]، ويتراوح اسم رحلتنا كما نقل عنه في الرحلة ما بين الاختصار في شكل " ابو سالم عبد الله محمد العياشي" وما بين الإطالة في شكل "أبو القاسم بن أبي بكر بن يوسف ابن موسى بن محمد" والمهم أن الاسم الدارج عند الكاتب هو الاسم الوارد في الرحلة أي "أبو سالم عبد الله بن محمد بن ابي بكر العياشي"، وهكذا يحمل الرجل إلى كنيته الشرفية "أبوسالم" لقبين دينيين هما: المالكي نسبة إلى مذهب مالك مذهب أهل المغرب الدارج، وعفيف الدين الذي يعتبر من الألقاب الشرفية بالمشرق.[4]

المطلب الثاني: حياته

و عن أسرة رحالتنا فمن الواضح أنها لم تشتهر كأسرة مرموقة إلا بعد نهاية المرابط أبو عبد الله محمد العياشي وكان هناك وجه شبه شديد بين المجاهد "سيدي محمد" والرحالة "أبي سالم العياشي" من حيث التبحر في العلوم الدين وخاصة في التصوف الذي اخذت مدارسه تنتشر فيه الربط[5] و الزوايا.

---

[1]– ابو سالم العياشي رحله العياشي ماء الموائد ليبيا، طرابلس، برقة، تح، سعد زغلول وآخرون، منشاة المعارف، الإسكندرية، د.ط،د.ت،ص 13.

[2]– ابو يعلي البيضاوي ،الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، بحث مقدم في ملتقى أهل الحديث 2012/07/05م.

[3]– عواطف بنت محمد يوسف نواب، مرجع سابق ،ص 46 .

[4]– أبو سالم العياشي، ماء الموائد، مصدر سابق، ص20.

[5]– **الربط** : لغة مصدر رابط يرابط بمعنى أقام ولازم المكان وفي الاصطلاح يطلق على شيء أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدين لحراسه البلاد ورد هجوم العدو الثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه المؤمنون لعباده الله وذكره.

وإذا كان سيدي محمد المشهور بالعياشي قد اشتهر أيضا بالسلوي نسبة إلى رباطه في سلا وجهاده فان الرباط المشهور حقا وقتئذ كان رباط الزاوية الدلائية في منطقة ملوية والحقيقة إن عرفت هذه الأخيرة بنشاطها الرباطي أي الحربي فان الزاوية العياشية الجديدة عرفت بنشاطها العلمي أي السلمي وقد وصل سيدي محمد العياشي (المجاهد) عن طريق رباط سلا[1] الحربي إلى مرتبة القطب او الغوث أعلى المراتب التصوف التي لا يصل إليه إلا الأولياء[2].

أما رحالتنا كان طالب علم لا يقتنع باليسير لذا شد عصا الترحال ويمم شطر المشرق في ثلاث رحلات للحج فمنها الرحلة الأخيرة للبلدان المشرقية مبتدأ بطرابلس والإسكندرية والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس، فاخذ عن العلماء الذين يسر الله تعالى لهم التقائهم فكان يلتقي العلم ويتصدر أحيانا للتدريس فقدم للتدريس في المدينة المنورة وكان خلال تلك المدة يعد من العلماء الإعلام كما كان يبادل الايجازات العلمية أمثاله من العلماء كما اشتهر بتعظيم الصوفية كعادة بعض العلماء فالتف حوله الأتباع وطلبة العلم[3]و من بين المشايخ الذين استجازهم و أخذ عنهم العياشي نذكر : محمد بن عبد الرحمن الديبع اليمني الزبيدي والشيخ عبد الجواد الطريني وإبراهيم الميموني ومن شيوخ التصوف نجد زين العابدين الطبري[4] ، وقد تحدث العياشي في رحلته الصغرى عن أهمية الرحلة بالنسبة للمسلمين وانها شكلت هاجسا دائما الحضور ورغبة دفينة في النفوس سرعان ما تعبر عن ذاتها مستندة إلى الواجب الديني وذلك بشد الرحال نحو الآفاق بحثا عما تجود به النفس من زاد ديني أو دنيوي، وان الرحلة بأنواعها مثلت طريق للمجد وسبيل للشهرة والتأليف في مجتمع ظلت أنظاره وقلوبه مرتبطة بالمشرق كما ذكرت المصادر بكثير

---

[1]– **الزاوية الدلائية:** تنسب الى قبيلة مجاط احد فروع الصنهاجة ويعودوا نسبهم الدلائيين إلى أبي بكر الصديق ويعتبر الشيخ أبو البكر بن محمد بن سعيد الدلائي المؤسس الفعلي للزاوية الدلائيه بتادلة عام 974هـ –1566م بالإشارة من شيخه عمر القسطالي.

[2]– **سلا :** تقع مدينه سلا على الضفة الشمالية لنهر أبي رقراق على اليمين من مصبه في المحيط الأطلسي بالقرب من العاصمة المغربية الرباط وتعد نقطه عبور مهمة بين مدن وعواصم إسلامية حكمت المغرب مثل فاس ومراكش، انظر ابراهيم برهوم مدينه سلا مدينه الاضرحة و الزوايا.

[3]– أبو سالم العياشي ،ماء الموائد، مصدر سابق، ص 23، 24، 25.

[4]– أبو سالم العياشي الرحلة العياشية ج1، مصدر سابق، ص،27 ،28 .

من الأسهاب والتفاصيل عن مدى الحفاوة التي كان يستقبل بها العائدون من رحلاتهم والمقافلون إلى أوطانهم[1]

وكان العياشي قد عزم على الحج منذ سنة 1069 هـ، 1608م ولكن منع تلك السنوات بسبب فتنة حدثت بالمغرب وانتظر حتى استقرت الأمور ويسر الله له ذلك فكان خروجه مع الركب المغربي يوم الخميس أول ربيع الآخر عام 1072 هـ، 1661 م، واستمرت رحلته حوالي سنة ونصف فقد عاد إلى المغرب يوم الأربعاء 17 شوال عام 1074 هـ، 1663 م، وقد سبق للعياشي القيام برحلتين للحجاز الأولى في 1059 هـ، 1649 م، والثاني في عام 1064 هـ، 1653 م، هاتين الرحلتين اكتسب فيهما الخبرة اللازمة التي جعلت منه عالما وخبيرا بمسالك الطريق ومنازله[2].

وقد حدد العياشي قصده و منهجه من تأليفه لرحلته فقال: ""وقصدي من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة وان وجد الأمران فيها معا فذلك ادعى للنشاط الناظر فيها سيما وان كان صاحب الرحلة تلوين وأما صاحب التكوين فلكل شيء عنده موقع ونفع لا يوجد في غيره والله المسؤول[3].

المطلب الثالث: مؤلفاته و وفاته

كان العياشي محدثا وصوفيا وعالما وشاعرا له منظومة في البيوع وأخرى في التصوف سماهما " تشبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية" وله أيضا كتاب في التراجم عنوانه " اكتفاء الآثار بعد ذهاب أهل الآثار"[4] أما رحلته الضخمة فسماها " ماء الموائد" التي ضمنها أخبار وحوادث مختلفة شاهدها آو سمعها أثناء أسفاره، واهم ما فيها وصف طريق الصحراء والسكان والعوائد وأحوال المعاش والأمن وقد خصص العياشي صفحات عديدة من رحلته للجنوب

---

[1]- أبو سالم العياشي المصدر نفسه، ص، 11 ،12.

[2]- عواطف بنت احمد محمد يوسف نواب ،مرجع سابق، ص 51 52 .

[3]- أبو سالم العياشي ،الرحلة العياشية،ج1، مصدر سابق ،ص13 .

[4]- مولاي بالحمسي، مرجع سابق، ص 18.

الجزائري، فكان لهذه الرحلة قيمه لفتت أنظار المستشرقين الذين نقلوها كاملة آو جزئيا[1] ونورد في هذا الصدد قول الكتاني نقلا عن المنساوي في كتابته "جهد المقل القاصر" بأنها جمة الفوائد عذبت الموارد غزيرة النفع جليلة القدر جامعة في المسائل العلمية المتنوعة ما يفوت الحصر، سلسلة المساق والعبارة مليحة التصريح والإشارة[2]، وبالنسبة لمؤلفات الرجل المخطوطة فهي عديدة متناثرة بين المكتبات في عديد من الأماكن والبلدان وقد جردتها الأستاذة نفيسة الذهبي في سياق تقديمها اقتفاء الاثر منها.

- إرشاد المنسب إلى فهم معونة المكتسب (مخطوطة الخزانة العامة رقم 43 ك ضمن مجموع).

- الحكم بالعدل والإنصاف والرافع للخلاف ما وقع بين الفقهاء سجلماسة من الاختلاف (مخطوطه الخزانة العامة رقم: 39 ك).

- معارج الوصول وهو كتاب في التصوف (مخطوطة الخزانة العامة رقم 1674د)[3] ومن مؤلفات العياشي التي لم نتطرق لها نذكر: تأليف في المعنى " لو الشرطية " أو " كتاب الحكمة بالعدل والإنصاف الدافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف وإظهار المنة على المبشرين بالجنة والمدائح النبوية[4]

توفي الرحالة العياشي ضحى يوم الجمعة 18 من ذي القعدة عام 1090 هـ الموافق لـ 21 ديسمبر 1679 م متأثرا بمرض الطاعون عن 53 سنة وعدة أشهر[5].

---

[1]- **حفناوي بعلي**، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحة في الكتابات المغربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ص 57.

[2]- ابو يعلي البيضاوي،مرجع سابق.

[3]- أبو سالم العياشي الرحلة العياشية،ج1، مصدر سابق ص31.

[4]- عواطف بنت احمد محمد يوسف نواب ،مرجع سابق، ص 51.

[5]- أبو سالم العياشي ، ماء الموائد، مصدر سابق ص31.

المبحث الثاني: محمد بن عبد السلام الناصري

المطلب الأول: مولده ونسبه

هو محمد بن عبد السلام بن محمد الكبير ابن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي التامكروتي[1] نسبه لبلاد درعا[2] أخر كبار شيوخ الزاوية الناصرية الدرعية التمكروتية والتي كان مقرها بلاد تمكروت وكانت هذه الطريقة تابعة للطريقة الزروقية الشاذلية[3].

فهو ينتمي إليها حيث تلقى تعليمه الأول واستفاد من مشايخها وخزاناتها حيث تعتبر من أهم الزوايا التي التي لعبت دورا كبيرا في المحافظة على الثقافة الاسلامية[4]، كان شيخ رحمه الله علامة أدبيا فقيها محدثا حافظا فاضلا لم ياتي بعد الشيخين في آل ناصر من هو اعلم منه والمراد بالشيخين محمد ابن ناصر وولده احمد بن محمد ابن الناصر[5]، انتقل الناصري إلى فاس سنة 1170هـ /1757م ،اين اخذ من شيوخها المشاهير أمثال الشيخ محمد بن قاسم جسوس و الشيخ إدريس العراقي والشيخ محمد التاودي ابن سودة، ثم رحل إلى المشرق مرتين لأداء فريضة الحج الأولى كانت سنة 1116 هـ/ 1782 م كتب على إثرها مصنفا ضخما عرف الرحلة الثانية الناصرية الكبرى و أما الرحلة الثانية فكانت سنه 1211 هـ/ 1796 م و التي كتب فيها مصنفا عرف بالرحالة الناصري الصغرى[6]

1– **عبد السلام الناصري الرحلة الناصرية الكبرى (1239هـ/ 1823م)**، تح، المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية المملكة المغربية، 2013 ،ص 10

2– عبد السلام الناصري،المزايا في ما احدث من البدع بأم الزوايا،تح، عبد المجيد خيافي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ط1، 2006 ،ص7.

3– **بلقايد بن عمر**، منطقة الاغواط وجوارها من خلال رحلة، ابي عبد الله محمد ابن عبد السلام الناصري الدرعي، **المجلة المغربية للدراسات الخارجية والاجتماعية، جامعة غرداية، العدد الأول المجلد ت9، ص 208.**

4– ابي عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية ، المصدر السابق، ص9.

5– ابي عبد السلام الناصري، ، المصدر نفسه، ص8.

6– ابي عبد السلام الناصري، ، نفسه،ص10.

المطلب الثاني: حياته

تتلمذ محمد بن عبد السلام الناصري على يد العديد من الشيوخ من المغرب ومن المشرق:

- **شيوخه من المغرب:**

- والده عبد السلام بن محمد الكبير بن الشيخ محمد بن ناصر.
- عمه أبي يعقوب يوسف بن محمد الكبير ابن الشيخ محمد بن ناصر[1].
- احمد بن الحسن بن علي سبط الشيخ ابن ناصر.
- محمد بن عبد الله بن أيوب التلمساني المنور.
- الشيخ التاودي.
- الشيخ سليمان الجمل صاحب حاشية الجلالتين وغيرهم.

- **شيوخه من المشرق:**

- مرتضى السيد المعمر عبد الحي ابن الحسين الحسني البهيني[2] .
- ابو هادي محمد الجوهري الشافعي الخالدي الأزهري.
- محمد بن محمد ابن عبد الله المغربي.
- مرتضى الزبيري وغيرهم[3].

المطلب الثالث: مؤلفاته و وفاته

ترك محمد بن عبد السلام الناصري تراثا غلميا واسعا و هو كالأتي:

1-الدر النفيس في تفسير القرآن الكريم بالتكنيس

2-قطع الوتين من المارق في الدين أو الصارم البتار فيمن أفتى ببيع الأحرار.

3-مناقب الأولياء.

---

[1]- عبد السلام الناصري ، المصد السابق، ص13.

[2]- **العياشي ابن إبراهيم السلامي** الإعلام بمن حلا، مراكش واغمات من الإعلام المطبعة الملكية، الرباط، 2001 ،ص 206-212.

[3]-عبد السلام الناصري، المزايا في ما احدث من البدع بأم الزوايا، المصدر السابق، ص 10-11.

4-المستصغر في حليه السكر المصفى.

5-كتاب البيوع من نوازل فقهيه.

6-المزايا في ما احدث من البدع بام الزوايا[1]

7-الرحلة الكبرى وهي رحلته الأولى وتأتي في مقدمه مؤلفاته لقد اشملها وأوسعها.

8-وله رحلته الصغرى وصف فيها مسيرة لقضاء فريضة الحج للمرة الثانية[2].

تلاميذته: تتلمذ على يده:

- ابن سيدي المداني الفقيه.
- ابن الحسين بن محمد بن عبد السلام[3].
- محمد بن محمد التهامي الرباطي
- محمد بن علي السوسي.
- احمد بن علوي بن حسن الشهير بجمل الليل.
- محمد بن قدور الورهوني وغيرهم[4].

وفاته:

توفي الفقيه محمد بن عبد السلام الناصري ليله السبت 12 صفر1239 هـ الموافق ل 18 أكتوبر سنة 1823 م.

[1]- عبد السلام الناصري، المزايا في ما احدث من البدع بأم الزوايا، المصدر السابق، ص 8.

[2]-. **عبد السلام بنعبد القادر** ابن سودة المري، دليل المغرب الاقصى ، **دار الفكر للطباعة و النشر** ، بيورت،لبنان،ط1، 1997م،ص239.

[3]- عبد السلام الناصري، المزايا في ما احدث من البدع بأم الزوايا، المصدر السابق، ص 7.

[4]- عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، المصدر السابق، ص 9.

المبحث الثالث: الرحالة أبي العباس الهلالي السجلماسي

المطلب الاول: مولده و نسبه:

هو احمد بن عبد العزيز ابن الرشيد السجلماسي[1] ابو العباس من ذرية أبي إسحاق ابن هلال الفقيه مالكي من أعيان العلماء له نظم وعلم بالحديث، اشتهر بالورع والزهد حج مرتين واخذ من علماء الحجاز ومصر، ولد لسجلماسة[2]، عام 1114، تلقى علومه الأولى على يد شيوخ بلده ولقي من العلماء المشرق عددا من الأفداد والنبهاء، وتخرج على يده جماعة من الطلبة كان لهم في سماء العلم طالع مبين[3] ،اماما في تحصيل العلوم وتحقيقها من نحو وبيان ومنطق ولغة وفقه وحديث وتفسير وهندسة وآداب وتاريخ ونسب وغير ذلك.

المطلب الثاني: حياته

شيوخه في المغرب:

قرأ بسجلماسة على يد العلامة سيدي احمد الحبيب و بفاس على يد سيد احمد بن مبارك و أبي عبد الله ابن الرخا و شيخنا ابي عبد الله الجندوزه وكان يحضر مجلس شيخنا سيد الكبير السرغيني في التفسير[4].

شيوخه في المشرق:

- محمد ابن الطيب ابن محمد الشرقي العميلي (1110هـ-1170م)
- مصطفى بن كامل الدين البكري الحنفي (1099هـ-1162م)
- عبد الوهاب بن احمد الطنثي
- ابو عبد الله محمد بن محمد البليدي (1096هـ-1176م)
- محمد بن سالم الحنفاوي او الحنفي (1101هـ-1181م)

---

[1]- أبي العباس الهلالي، التوجه للحج بيت الله الحرام وزيارة قبره، دراسة وتحقيق، محمد بوزيان بن علي، ص 12.

[2]- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2012، ص 151.

[3]- ابن عباس الهلالي، المصدر السابق، ص 12.

[4]- محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص 144.

- الشهاب احمد العجمي توفي سنه 1154 ه
- احمد بن احمد بن عيسى العماوي المالكي الاحمدي الدرامكشي

تلاميذته:

اخذ عن الهلالي جماعة كبيرة جدا من نجية التلاميذ صاروا من بعد من نبهاء الأعلام منهم:

- الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله
- محمد ابن الطيب القادري
- محمد بن احمد الحركي
- محمد الناودي ابن سوده
- عمر الفاسي[1]

المطلب الثالث: مؤلفاته

ألف أبو العباس كتب عديدة و مقيدات مفيدة منها شرح خطبة القاموس والمراهم في الدراهم، وشرحه لمنظومة جدنا عبد السلام الطيب القادري الحسني في المنطق سماه الزواهر الأفقية، على الجواهر المنطقية [2]، وديوان صغير من نظمه عندي ونور البصر، في شرح المختصر، الخليل وفهرسته في أشياخه ومروياته، رأيتها في مجموع عند السيد إدريس الإدريسي بفاس ومنظومة في وفيات جماعة من الإعلام في الرباط[3] ، وله مقيدات كثيرة في فتون العلوم، حيث ألف في رحلته رحلة جليلة ولقي مشايخ مصر والحرمين وله انجازات المشايخ المشارقة والمغاربة[4].

كما جاء في فهرس الفهارس لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني انه وفق على نسخة منه بخط سوسي جيد، عليه أجازة بخط العلامة أبي محمد بن عبد الله بن عبد الله الجشمي التملي

---

[1]- ابن عباس الهلالي، المصدر السابق، ص 144.

[2]- محمد بن طيب، نشر المثاني، المصدر السابق، ص 144.

[3]- خير الدين الزركلي ، المصدر السابق، ص 151.

[4]- محمد بن طيب، نشر المثاني، المصدر السابق، ص145.

بتاريخ سنة 1182 هـ لمحمد بن ناصر الناصري ومقداد بن الحسن، روي إجازة و سماها عن الفقيه المدرس الوجيه المعمر أبي العلاء إدريس ابن قاضي فاس ابي محمد عبد الهادي بن عبد الله على والده، وهو شارح لتفسير ابن الدبيع عن جده العلامة أبو محمد التهامي بن عبد الله الشريف العلوي عن الهلالي، وروي أيضا عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم السباعي عن قاضي سجلماسة مولاي الصادق بن محمد الهاشمي بن كبير بن الحسين العلوي المدغري دفين مراكش عن أبيه عن الهلالي وهو عال جدا ولا زالت لم أتحقق صحة إجازة الهلالي للهاشمي ولا إجازته هو لولده مولاي الصادق[1].

وفاته

توفي رحمه الله في أوساط شهر ربيع الأول سنه خمسة و سبعين و مائة و ألف ، بل قبضت روحه رحمه الله قرب طلوع الفجر من يوم الثلاثاء الحادي و العشرين من ربيع الأول عام 1175 [2]، و دفن بسجلماسة تافيلالت[3].

---

[1]- **عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني**، فهرس الفهارس والأبيات في معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م،ج1 ، ص1101-1102.

[2]- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأبيات في معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م،ج1 ، ص1101-1102.

[3]- **محمد بن احمد الحضكي، طبقات الحضكي**، تح، احمد بومزكو، الدار البيضاء مطبعة النجاح، 1775م،ج 1،ص 116 .

المبحث الرابع: الرحالة أبي عبد الله محمد بن احمد الحضيكي

المطلب الأول: مولده و نسبه

أحد مفاخر(سوس) الأعلام حتى اتعجز عن تبيين أوصاف كلامه زينة النصف الأخير من القرن الثاني عشر فتح الحروف الهجائية عند شيخ الإسلام ابن العباس الناصري[1] ،العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله الجزولي الحضكي[2] ،شهرة الشاذلي طريقة الترسواطي مداشر المانوزي قبيلة، نزيل زاوية اييسي بسوس، عالم بالتراجم من أدباء المالكية وفقهائهم من أهل تكوس في المغرب الأقصى[3] ، كان مولده سنه 1118 هـ نشأ في عفة وحسن سمت وهدي، قرأ كتاب الله القران في بلده عند إمامه سيدي عبد الله بن إبراهيم الجرسيفي وكان رجل صالحا أثنى عليه الشيخ في مناقبه، ثم سافر في طلب العلم وجالا في بلاد جزولة، أدرك أكابر علمائها واخذ عنهم كالإمام الصوايبي والإمام العباسي وغيرهما[4].

المطلب الثاني: حياته

عاش الحضيكي في منطقة سوس العامرة بالزاويا و المدارس العتيقة و اخذ علومه و معارفه المختلفة على أيادي جم غفير من العلماء و الشيوخ الكبار سواء من المغرب أو من المشرق كما ذكرهم في رحلتهم الحجازية و غيرها من المصادر و هم كالأتي:

1- أبو العباس احمد بن عبد الله الصوابي.

2-عبد الله بن أبي إسحاق الكرسفي.

3-عبد الله بن ابراهيم الرسموكي.

4-أبو عبد الله محمد بن الحسن الحامدي.

1- **محمد المختار السويسي**، المعسول، الدار البيضاء المغرب، مطبعة النجاح، 1923 ،ج 11 ، ص 302

2- ابو عبد الله محمد بن احمد الحضكي، الرحلة الحجازية، **مركز الدراسات والأبحاث و احياء التراث**، الرباط،ط1 ،2011 ،ص13.

3- الزركلي، الاعلام، مصدر سابق،ص 15.

4- أبي زيد عبد الرحمن الحشتمي، الحضكيون، تح، المجلس العلمي المحلي لتادورانت، الدار البيضاء، ط1 ،2010م ، ص 47.

5- أبو العباس سيدي احمد بن عبد لله الإبراهيمي.

6- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الدرعي.

7- محمد الصغير بن محمد الافراني[1].

8- احمد بن محمد العباسي(1152هـ/1739م)

9- محمد بن علي أوزال العوازلي(1152هـ/1739م)

10- عبد الكريم بن علي الزيادي المنبهي(1152هـ/1739م)

11- ابراهيم بن محمد السمالي(1160هـ/1747م)

12- محمد بن يحيى الشيبي(1169هـ/1751م)

13- محمد بن محمد الحاج ابو عبد الله. (1160هـ/1747م)[2]

من تلاميذته

نمر بجيش عرمرم من ممن اخذ عن العلامة الحضكي أو عاصره أو عاشروه في كثيرا مما ترجمهم منهم:

- عبد العزيز الترخي
- يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر[3]
- سيد احمد بن عبد الله بن اسة التكموتي
- محمد بن ابراهيم الجرسيفي[4]
- محمد بن عمر الاسفركسي العشتوكي السويسي توفي عام 1212
- محمد بن عبد الله البيروكي توفي عام 1274
- محمد بن عبد الله الزغيبي توفي عام 1998

---

[1]- ابو عبد الله محمد بن احمد الحضكي، الرحلة الحجازية، المصدر السابق، ص 17 .

[2]- ابو عبد الله محمد بن احمد الحضكي، الرحلة الحجازية، المصدر السابق، ص 39-40 .

[3]- محمد المختار السويسي، المصدر السابق، ص 312.

[4]- ابو زيد عبد الرحمن الجشتمي، المصدر السابق، ص 58 – 69 .

- احمد بن علي الأغزالي الهلالي توفي اواخر القرن الثالث عشر
- ابو الربيع سليمان بن يوسف الناصري توفي عام 1230 هـ
- محمد بن طيب الشواري توفي عام 1369 هـ
- عبد الرحمن بن عبد الله الحشتيمي السويسي الجزولي توفيق عام 1369 هـ
- عبد الله بن احمد المكوسي توفي اوائل القرن الثالث عشر
- احمد بن احمد بن الحاج التزخيتي[1]

المطلب الثالث: مؤلفاته و وفـاته

للحضيكي مؤلفات كثيرة منها:

فهارس عدة أجاز بها من رغب في روايته، وتوجد له فهرستان بكناشة

- كناشة ضخمة بها من التقاليد والفهارس من أجازه وخطوطهم بالإجازة له[2]
- حاشية على صحيح البخاري
- اختصار الإصابة
- شرح على الرسالة
- رحلة إلى الحجاز
- تاريخ سماه بالطبقات[3]

---

[1]– ابو عبد الله محمد بن احمد الحضكي، الرحلة الحجازية، المصدر السابق، ص 27 – 28 .

[2]– **عبد الله المرابط الترغي**، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها تطورها قيمتها العلمية ط1 ،1999 ، ص409.

[3]– عبد القادر عبد السلام ابن سوده، اتحاف المطالع بوفيات الأعلام، القرن الثالث عشر والرابع عشر،تح، محمد مجي، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 1997،ج1 ،ص39.

كناشة الحضيكي:

كناشه ضخمة حشر فيها كثيرا من مواد الرواية التي أخذها عن شيوخه، وهي في أكثرها تخصص الحضكي ذكر فيها فهرس شيوخه وانجازاتهم له بخطوطهم ونصوص الاستدعاءات التي كتبها لهم بخط يده والفهارس التي كتبها وإجازته لبعض تلامذته ولم تخضع مواد هذه الكناشة لأي تنظيم أو ترتيب، فهي كغيرها من كنانيش العلماء تضم أشتاتا من المواد، غير أن ميزة كناشة الحضكي في اختصارها على ما يتعلق بمواد الرواية من إجازاة وفهارس مما له علاقة متصلة بجامعها[1]

وفـــاته:

في ليلة السبت عند العشاء التاسع عشر ربيع الأول توفي محمد بن احمد الحضكي السويسي صاعقة السويس وعلامته[2]

[1]– عبد الله المرابط الترغي، المرجع السابق، ص 410.

2– عبد القادر بن عبد السلام ابن سودة، المرجع السابق، ص 39.

الفصـــل الثانـــي:

الأوضاع السائـــدة في الجنـــوب الجزائـــري

قد ألقت الرحلات المغربية لمحة على الأوضاع السائدة التي كان يعيشها الجنوب الجزائري في ظل الحكم العثماني لمدينة الجزائر على غرار المغرب الأقصى الذي كان تحت الحكم العلوي الرافض للتدخل العثماني بأي شكل وهذا تزامن مع عهد السلطان محمد الشريف العلوي 1667 1664 وقد سلط هؤلاء الرحالة الضوء على نقل حقيقة الأوضاع السياسية في الأقاليم الصحراوية ومدى قوة نفوذها واستجابتها للسلطة العثمانية مع إبراز العلاقة بين الحكام الأتراك والأمراء المحليين بالإضافة إلى الجانب الاقتصادي الذي هو أساس قوة أي لأنه يمدها الأمن والاستقرار على المستوى الداخلي والخارجي لذا نجد تتبع الرحالة لهذا الجانب من خلال اهتمامهم بالنشاط الزراعي والفلاحي لبعض المناطق التي زارها والإشارة إلى أهم المنتجات المحلية مع ذكر بعض النشاطات اليدوية المتداولة وما لاحظوه من مختلف المظاهر التجارية القوافل والأسواق التجارية وهذا الجانب يكمل الجانب الاجتماعي لأن به يتحدد المستوى المعيشي لما له من تأثير على الأحوال الصحية السائدة خصوصا أن الجزائر عرفت في تلك الفترة الكثير من الأمراض والأوبئة الخطيرة ومن أبرزها الطاعون الذي فتك بالعديدة من السكان وهذا بفعل التركيبة الاجتماعية المتنوعة بين السكان الأصليين لمدينة الجزائر والوافدين إليها من الخارج وقد اهتم الرحالة بهذا الجانب بحكم معاشرتهم للسكان الأصليين والمناطق التي زاروها برسمهم صوره لواقع المجتمع الصحراوي والعادات والتقاليد المتعارفين عليها وفي الأخير نجد الجانب الثقافي الذي نال اهتماما كبيرا من طرف الرحالة وما أوردوه لنا في كتاباتهم من المؤسسات الثقافية مثل الزوايا والمساجد بالإضافة إلى بعض الشخصيات والأعلام التي ساهمت في تنشيط الحياة الثقافية والإشارة إلى أهم الكتب والمؤلفات المنتشرة في تلك الفترة.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

المطلب الأول: طبيعة الحكم العثماني في الإقاليم الصحراوية

يظهر من خلال كتب الرحلات المغربية وخاصة رحلة العياشي لأن أجزاء كبيرة من بلاد كانت مستقلة لا تخضع للوجود العثماني بل كانت تحت تصرف أمراء محليين[1] ،إلا إن موقفه اتجاه العثمانيين كان بارزا من خلال كتاباته واعتبروا وجودهم في غالبيته ظلما ""**لا ينكر**""، وهذا بسبب السياسة التعسفية التي طالت الأهالي ومنها الضرائب التي اعتبرها **أكمل لمال السلطان** مشيرا هنا إلى عساكر الأعراب التي استخدمتها السلطة المركزية لجباية الضرائب من الرعية[2].

وهذا مثل ما حدث ببلاد المزاب في بسكرة كما جاء في وصف العياشي للوضع السياسي فيها منذ البدايات الأولى للعثمانيين اذا قال: **ولم يستتب لهم ذلك الا بعد استيلائهم على الماء الذي به الحياه البلد** ، ويفهم من هذا القول أن الصراعات والحروب التي كانت تندلع بين القبائل حول المراعي وعيون المياه سببا في استنجاد بعض القبائل بالسلطة العثمانية والدخول تحت نفوذها ، وهذا ما نجده في قوله: **فتملكوا البلاد وضروا بأهلها و اجحفوا بهم في الخراج ولم يقدروا على الخروج عليهم فاجتمعت عليهم غارة العرب من الخارج وظلم الترك من الداخل**[3]، كما جاء في قول الحضيكي إشارة لهؤلاء الأعراب ثم سرنا غير بعيد عن مزار سيدي خالد فلم دنو هناك فإذا بالخيل والمرجال تخرج من خلالها متسلحة تركض نحوهم فاجتمع المركب ونصب العلام الراية و تأهب الناس مقاتلتهم فلما رأوا كذلك رجعوا خاسئين صابرين، وهذا يدل على سطوة الأعراب وانتشارهم بكثرة في المنطقة[4].

وفي نفس السياق نجد الرحالة الناصري الذي تحدث عن ظاهره السرقة في تاجمونت إذ قال **لما صار الركب لحقهم خيل الأعراب من قبيلة الأرباع وقع بينهم وبين ركبهم ما وقع وظنوها**

---

[1]– **مولاي بالحميسي**، مصدر سابق، ص 28.

[2]– **ابي سالم العياشي**، المرحلة العياشية، ج 1، ص159.

[3]– **ابي سالم العياشي**، المرحلة العياشية، ج 2، ص 523–524.

[4]–**الحضكي**، مصدر سابق،ص 85.

حربا فجرد واحد من الأعراب واخذوا فرسه فذهبوا معه نحو الركب فرد لهم الأمير متاعهم[1] **فلما تفرقت الابل في بطن الوادي للمراعي اخذوا بعض الإبل الركب فهربوا بها**، وفي هذا الصدد يقول حسن الوزان انه عندما يحيا المرء بعيدا عن المدن ولكن في السهول والتلال فانه يفر من سطوة السلطان وجنوده وجباته ويكون مع ذلك تحت رحمة النهابين من البدو والرحل عربا وبربرا أحيانا يعيشون في البلاد فسادا فلا يمكن رفع جدار من غير خوف من رؤيته مهدوما عما قريب[2] ، وهنا نجد إشارة العياشي للقبائل الأعراب مثل أولاد هلال وأولاد نصر ابن بوعكاز الذين حذروهم منها اهل بسكرة خوفا من الإغارة على الركب[3] ، كما أورد لنا في رحلته عند نزوله بورقلة لصلاة الجمعة بجامع المالكية، حيث دعا الإمام في خطبته للإمام المهدي ثم السلطان الأعظم والخاقان الأفخم محمد بن إبراهيم بن مراد ثم سلطان بلده مولاي علاهم[4] ، غير أن هذا الولاء لم يتجاوز التبعية الاسمية إلا

لإبداء فروض الطاعة للسلطان العثماني في خطبة الجمعة[5] ، ويفهم من قول العياشي أن السلطة المركزية لم يكن لها نفوذ فعلي على إمارة بني جلاب سوى ما كانت تفرضه من الجباية والاعتراف بالسلطان العثماني مع ذكر اسمه وهذا يعني أن التبعية كانت روحية فقط وغير مباشرة، وهذا ما أكده أبي سالم في حديثه عن أمير تماسين بتقرت فيقول انه المستقبل في بلده وهذا دليل على الاستقلال السياسي للإمارة في موضع أخر يصفها بالمملكة في قوله ولأمير البلد حكم نافذ في أهل مملكته والأعراب الذين يردون عليه وهذا القول ينفي تبعية إمارة بني جلاب الى الحكم العثماني[6] ومن جهة أخرى نجد الرحالة الأغواطي في حديثه عن منطقة جبل عمور

---

[1]– أبي عبد السلام الناصري، مصدر سابق، ص 205.

[2]– **أمين معلوف ليون افريقي، وصف إفريقيا**، تر، عفيف مشيقه ، دار المفرابي، بيروت لدبنان ،ط1، 1990،ص 170 .

[3]– حفناوي يعلي، مرجع سابق، ص 60 .

[4]– **مولاي علاهم بن مولاي محمد** هو ثالث حكام أسرة أل علاهم بعد أبيه فمكث في الولاية 29 سنة، اجد من خلالها إصلاحات جمة تميزت فترة حكمه بالشدة، انظر عباز الأزهار، ص 42.

[5]– **ناصر الدين سعيدوني**، دراسات وأبحاث في التاريخ الجزائري في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر 2008 ،ص 481.

[6]– **ابي سالم العياشي**، مصدر سابق ج1، ص 199–122

التي كانت مستقلة عن الحكم العثماني من خلال ما جاء في قوله فان أهلها لا يحكمهم سلطان[1]، وعن مدينة الأغواط أوردها الناصري في قوله: **أن بلدتهم كبيرة مبنيةعلى كدية ذات مساجد تصلى فيها الجمعة، جامعة مشتملة على ما يناظر ألف رام ولها كأهل عين ماضي قوة ومنعة رامتها الأتراك فلم يقدروا إلى أنهم يدارونهم** ، وهذا يدل على عدم اعترافهم بالسلطة العثمانية[2]، و عن قرية أولاد جلال قال عنها أنها من أعظم قرى المزاب وسكانها فيما قيل يزيدون على اثني عشر ألف رجل ولهم مع ذلك قوة ومنع لا يؤدون للأعراب إتاوة وكانوا يسمون كل من لا يؤدي ذلك لهم مجاهدا وهذا الحديث يدل على قوتهم ويؤكد رفضهم للسلطة المركزية مع استقلالهم في الشؤون السياسية[3]

كما جاء في رحلة الباي محمد الكبير[4] باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الجزائري ذكر منطقة الاغواط التي كانت من بين المناطق التي مر بها في رحلته لإخضاع القبائل الممتنعة للاعتراف بدولة الأسرار في الجزائر وجاء في حديثه انه عند وصولهم إلى إحدى المنازل قدمت لهم مشايخ الاغواط وعلمائهم بأيديهم كتاب صحيح البخاري طالبين الأمان على أنفسهم وأهلهم وهم مذعنون بالطاعة[5]، أما عن اقليم توات[6] فقد تمت زيارته من قبل أربع مستكشفين ثلاثة منهم أوروبيون لم

---

[1]– **ابن الدين الأغواطي**، رحلة الاغواط في شمال أفريقيا والسودان والدرعة، تر،وتح ،أبو القاسم سعد الله ،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، د.ط،الجزائر ،2011، ص89.

[2]– **عبد السلام الناصري**، مصدر سابق،ص206.

[3]– مصدر نفسه ،ص 207.

جارية اسمها زائدة أهداها لأبيه مولاي إسماعيل السلطان المغرب الأقصى وتولى هذا الأخير مناصب سامية في الحكم و بتوليه الحكم قامت بعدة إ

[4]– **الباي محمد الكبير**: هو محمد بن عثمان الكردي ويسميه العرب في الناحية الغربية محمد أو الكبير كنيته أبو عثمان أمه صلاحات في البلد وتوفير الأمن كما اهتم بالعلم والعلماء انظر رحلة الباي محمد الكبير، ص16–18.

[5]– **احمد ابن هطل تلمساني**، رحلة محمد الكبير باي المغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785 ، تق: محمد بن عبد الكريم المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص50.

[6]– إقليم توات هو مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تحدها من الشمال العرق الغربي هضبة تادمايت ومن الجنوب هضبة ميودير ويشكل الطريق التجاري لهذا الإقليم وينقسم إلى ثلاث مناطق: تنجورارين و توات وتادلة، انظر وادي الساورة، توات والازواد، ج1، محمد خوتية، ص28.

يتركوا لنا أي اثر ملموس والوحيد الذي ترك قصص وحكايات عنها عنوانها هو العياشي في سنة 1662 بقيت متداولة من بعده[1]، وهذا الإقليم لم تمتد إليه السلطة العثمانية إلا لجمع الضرائب بطبيعة تواجده في تخوم الصحراء[2]، بحيث نجد الكثير من الرحالة أمثال اليعقوبي وابن بطوطة وابن حوقل بإجماعهم على وصفه بأرض أمان واطمئنان على مر التاريخ[3]، وعند وصول العياشي لمنطقة تاسبت قرب توات لزيارة الوالي الصالح محمد الذي قال عنه **دفين مكناسة مغربنا** ، وهنا أشار إلى إن تسابت وما جورها تتبع للمغرب الأقصى ليذكر فيما بعد تعامل أهلها في تجارتهم بعملة مصكوكة باسم السلطان العلوي في قوله وعدد المثقال عندهم أربعة و عشرون موزونة ويقولون للمثقال الأربعيني مثقال شريفي نسبة للأمير الشريف صاحب سجلماسة وكل هذه البلاد في طاعته ويفهم من هذا القول أن الحكم العثماني تجاوز مرحلة القوة ودبت فيه عوامل الضعف من أبرزها امتداد النفوذ العلوي في هذه الجهات التابعة له[4] ،وبالنسبة لمنطقة وادي سوف قال عنها عنها الاغواطي بان سكانها لا يخضعون إلى حاكم وهم دائما ينظمون الفرق و يسلبون العرب من أملاكهم ولم يصلون بغزواتهم إلى أرض الطوارق و هم يتمتعون باستقلال كامل و لم يطيعوا أي سلطان، وهذا يدل على عدم امتداد النفوذ العثماني إلى أقصى الجنوب[5]

---

[1] – Camille Sabatier touat sahara et soudan, Société d'éditions scientifiques,8131,P02

[2]– **نصر الدين بن سعيدوني**، مرجع سابق، ص252.

[3]– **احمد ابا الصافي جعفري**، من تاريخ توات ، أبحاث في التراث، ط1، منشورات الحضارة 2011 ،ص 288–289.

[4]– **أبي سالم العياشي** مصدر سابق جيم واحد ص....

[5]– ابن الدين الاغواطي، مرجع سابق ،ص 92.

وقد اتسمت الحملات العسكرية العثمانية بطابعها العثماني السلبي من اجل بسط النفوذ فإنها عملت أيضا على التقرب منها في إطار سياسة تجمع المصالح المشتركة وبذلك بتشجيع قبائل البدو بالهجرة المؤقتة لمناطقها في الشمال لربط التبادل التجاري معها كون هذه الاخيرة كانت تبحث عن المراعي الخصبة لمواشيها وكذا لتصريف منتجاتها[1] ، في إقليم تقرت[2]، الذي تمركز على طريقين تجاريين الأول شرقي غربي والثاني شمالي جنوبي كان يربط الصحراء بموانئ الشمال في الجنوب[3] ، والذي وصفه العياشي باستتابه على الأمن و كثرة الأرباح التي يحصل عليها التاجر من خلاله أن يكفي التاجر الواحد رحلة او رحلتين كي يصبح من الميسورين و هذا الحديث ينطبق على

قبائل الأرباع [4]، التي صادفها إثناء دخوله إلى ورقلة[5].

المطلب الثاني: نظام المشيخة

لقد كان العثمانيون يسعون إلى إيجاد سندهم في البلاد العربية ويحتفظون كقاعدة عامة بالنظام الاجتماعي الذي كان سائدا لدى الشعوب الخاضعة حين افتتاحها وبقية الأرض والسلطة في أيدي الاقطاعتين المحليين[6]، بحيث انتشر نظام المشيخه في الجزائر أثناء الحكم العثماني في عدة مناطق حيث بلغ عدد القياد الذين لهم نفوذ على الرعية بالشرق الجزائري 24 قائدا وكان عدد

---

[1]– **ناصر الدين سعيدوني**، مرجع سابق ،ص 485.

[2]– اقليم تقرت : يعد وادي ريغ الإطار الجغرافي لمدينة تقرت وهو ممتد على شكل شريط طولي ضيق طوله حوالي 160 كيلو متر وعرضه يتراوح ما بين 30 و 40 كيلو متر ،انظر ياقوت الحموي معجم البلدان ج4، ص 325.

[3]– محمد معمر، (علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية بالجزائر) ،مجله الحضارة الإسلامية،ع12،ص24 .

[4]– ابو سالم العياشي، مصدر سابق ،ج1، ص 114.

[5]– ورقلة أن المقصود بورقلة هو اسم المدينه وكذا المنطقة المحيطة بها تتحدث بعض المصادر عن ورقله وهي تقصد المدينة القصر والقصبة فقط والبعض الأخر يقصد بها المدينة وما يحيط بها من قرى، انظر الياس بن عمر، مدينه ورجلان، دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية، أطروحة ماجستير جامعة الجزائر 2008 ص 19.

[6]– لوتيسكي تاريخ الأقطار العربية الحديثة، ط 8 ،دار الفرابي 1985،ص56.

الشيوخ[1] 11 شيخا، أما في بيليك الغرب فقد قسمت قبائل الرعية إلى عدة مجموعات منها مجموعة تخضع مباشره للباي وتتألف من عشيرة بني عامر ومجاهد والمجموعات الأخرى يتقاسمها الإشراف وانتشرت المشيخات في المناطق البعيدة عن السلطة المركزية مثل مشيخات النمامشة والحنانشة والحراكتة وقصر المطير جنوب سطيف وأولاد بوعزيز بالبلزما وأولاد بوضياف بالاوراس الأوسط والشمالي وأولاد قاسم جنوب شرق قسنطينة وأولاد عاشور بفرجيوة وأولاد مقران بالمجانة وبني جلال بتقرت و أولاد بن قانا بالزيبان[2] وكان هذا الصراع حادا بين الأسر والقبائل، حيث كانت الأسرة الثلاث: (بن قانة وبوعكاز وابن جلاب تتقاسم النفوذ في المنطقة الصحراوية في حين كانت القبائل الصحراوية في صراعا دائم [3]، وكانت الإدارة التركية على المستوى المحلي بسيطة تتوافق مع وضعية المجتمع فالمدينة لها إدارتها والقبائل لهم إدارتهم والمناطق التي تجاوزت نظام القبيلة لها إدارتها المشيخة وتقوم الإدارة المحلية[4] مثل الإدارة المركزية[5], على ركزتين هما : : ضمان دخول الضرائب إلى الخزينة وضمان خضوع الرعية إلى السلطة التركية[6] ، وقد وصف

---

[1]– الشيوخ : يشرفون على شؤون القبائل ومهامهم تتوزع على حساب الحاجيات القبيلة التي يشرفها يشرف عليها كما يحق للشيخ في الجهات البعيدة مراقبة الأسواق وإلزام السكان بدفع المطالب المخزنية حسب قدرتهم ،انظر ناصر الدين سعيدوني ،ورقات في تاريخ الجزائر الحديث، ص 277 .

[2]– **ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي** ،الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 97 .الزيبان: جبال الزيبان هي قليله الارتفاع ليست بذات خاصب ولا عمران بل كإنما هي في وسط الأطلس الصحراوي ثغرة سمحت لصحراء الجنوب بالتسرب نحو الشمال، انظر احمد توفيق المدني، جغرافيا القطر الجزائري، ص 39

[3]– **جميله معاشي** الأسرة المحلية الحاكمة ببيليك الشرق الجزائري خلال القرن 16 و 19 ،رسالة ماجستير ،معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر ،ص7.

[4]– الإدارة المحلية: هي شكل من أشكال التنظيم المحلي يتم بموجب توزيع المهام الإدارية بين الحكومة المركزية و هيئات محليه مستقلة تؤدي وظيفتها تحت إشراف الحكومة المركزية و راقبتها، انظر ناجي عبد النور، دور الإدارة المحلية في تقديم الخدمات العامة ع1 ص 153.

[5]– الادارة المركزية: وهي تشمل دار السلطان وتتكون من السلطان وحاشيته وهؤلاء جميعا يعرفون باسم أل عثمان ويعاونهم في الحكم ما يعرف باسم الديوان وهو جهاز إداري يتكون من المصدر الأعظم وأفراد الطبقة الحاكمة ومنصب المصدر الأعظم وهو أعلى المناصب الدولة بعد منصب السلطان انظر النظام الإداري المركزي في الدولة العثمانية، منتدى التاريخ والحضارة والثقافة التركية، صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي،د،ط، دار هومة، الجزائر، 2011،ص285.

[6]– **ابو سالم العياشي**، المصدر سابق ،ج1،ص221

العياشي تنظيم المشيخة في قوله:..... و أمراء هذه البلدة أولاد الشيخ احمد بن جلاب[1] وأسلافهم بني مرين ووالدهم هذا من أمراء العدل على ما يحكي عنه وأولاده على سيرته....."" وهذا ما بين أن المشيخة كانت تقوم على النسب الشريف، "" ال البيت"" وتخضع فيها السلطة لأسره يتوارث أبناءها الحكم والملك يطلق على سلطانها ابن فلان **(اسم الشيخ)** و أول رحالة زار المنطقة الجلابية بعد تأسيس الامارة هو ليون الإفريقي الذي أعطانا وصف لمدينة تقرت وقال: توجد حولها عدة قصور وقرى وأماكن مأهولة على طريق طول مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة وكلها خاضعة لأمير تقرت الذي كان يجني منها 130 ألف مثقال وله حرس قوي من الفرسان، وهذا الكلام إن دلة على شيء فانه يدل على القوه والنفوذ في المنطقة[2] .

وقد أشار العياشي إلى طريقة تنظيم هذا الأخير و وصفه بالبساطة وخضوعه لرؤساء القبائل فيقول وليس عليهم أبهت ملك بل يخرج الأمير وحده أو مع رجلين وهو عند أهله كواحد منهم في جلوسه وكلامه يتوصل إليه كل احد إلى أن قال و لأمير البلد حكم النافذ في أهل مملكته والأعراب الذين يردون عليه[3]، كما استدل العياشي في حديثه على يقظة أمير تقرت في بلد وحكمه النافذ فيها مشيرا إلى ذلك في قوله: ضاعت لنا جملان من الركب ليلة رحيل رحيلنا فبلغ الأمير الخبر وبعث الحرس حتى أتوا بالإبل، وهذا الكلام يبين لنا مدى حرص الشيخ على قبيلته[4] ،وبخصوص مدينة ورقلة فإنها احتفظت بنظام داخلي محلي مستقل عن عهد أمير علاهم، حيث أورد لنا العياشي ان له صلة مع بني جلاب في قوله: فان أمه أخت الشيخ احمد بن جلاب كما أشار أيضا إلى خضوع هذه الإمارة لمشيختهم لتقرت من خلال حديثه عن مقوسا القريبة منها قال: وارتحلنا من واركلا ونزلنا بلده قريبة منها على نصف مرحلة تسمى مقوسا وهم من طاعة وادي

---

[1]– المصدر نفسه ،ص122.

[2]– **أمين معلوف** ،المصدر السابق، ص122.

[3]– **عباز الازهري، نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603 1884 ،مذكره لنيل شهاده الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي الجزائر،ص178.**

[4]– سعيد شريدي، دور المشيخه في تفعيل سلطة الدولة في الجزائر، القرن السادس 16–19 م، عشر مجلة منتدى الأستاذ، ع 18 جوان 2011 ،ص 266.

ريغ ابن جلاب لا من طاعة واركلا[1]، كما أورد لنا عن قرية القليعة جمع قلعة التابعة للمنيعة بأنها قرية حصينة وهي في طاعة سلطان واركلا[2] كما نجد ممارسة السلطة العثمانية لنفوذها على امارة بني جلاب بعد دخول كل من تقرت وورقلة تحت حمايتها وهذه التبعية كان اثر الحملات التي شنتها السلطة بقيادة مالح رايس سنة 1552 وكان سبب هذه الحملة هو استبداد بني جلاب بإمارتهم بتقرت وامتناعهم عن أداء الجباية والمغرم[3] في حين يرى مارمول كربخال أن هذه الضريبة التي امتنع عن دفعها للأتراك كانت مقابل حمايتهم من

العشائر العربية أي هما الذين طلبوا الحماية التركية ونظر لسوء معاملة الأتراك لهم توقفوا عن دفعها[4] وهذا ما يتضح في الرحلة العياشية بان المشيخات حافظت على ولائها الديني والسياسي خلال ما ورد لنا في هذه الرحلة العياشية عن خطبة الجمعة وامتناع أهلها في نفس الوقت عن أداء الضرائب التي كانت تعتبرها السلطة العثمانية حق المفروض على جميع المناطق التابعة لها بحيث لا يمكن الاستغناء عنه وهذا حتى قيام مشيخة آل علاهم بورقلة عام 1602م[5] وكانت زيارة العياشي لنفس المنطقة في سنة 1663 وقد وصف قواتها في المجال السياسي والاقتصادي وكتبها في رحلته عن نجاه الأمير علاهم من مؤامرة دبرها له أفراد حاشيته من الأعيان والأشراف وأهلهم من بقايا الأدارسة وبني مرين سماهم بيضة البلد وعصبة أهله كانوا يتمتعون بامتيازات وسلطة واسعة حاج حياة الترف وجمع ثورات ثروات ضخمة أصبحوا جماعة لها نفوذ يحسبوا لها ألف حساب يشكلون طبقة إقطاعية مهيمن هـ على مقاليد الأمور ولما أراد الأمير الحد من نفوذهم

---

[1]– **حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات**، المرجع السابق، ص 58.

[2]– **أبو سالم العياشي**، المصدر السابق، ج1، ص 115.

[3]– أمين معلوف ، مصدر سابق.ض154.

[4]–**بني جلاب** : تعود أصولها لبني مرين بالمغرب الأقصى ، حيث يقول العدواني أن مؤسس الأسرة كان يدعى سليمان الجلابي أتى مع طائفة منهم ليستقروا بتاجمونت غرب الأغواط و كان بعضهم يصل حتى تقرت لبيع الأغنام و لعل نشاط الماريني هو سبب تسميته بالجلاب أي بائع الغنم ،أنظر ، جميلة معاشي ، الاسرة المحلية الحاكمة في بيليك الشرق الجزائري من القرن (16 – 19 م)، ص42.

[5]–**مارمول كرفاخال**، إفريقيا ،تر، محمد حجي و آخرون، جمعية مغربية للتأليف و الترجمة،د ط،1988 ، ج1.

تأمروا عليه لخلعه لكنه كشف كيدهم و استعان بعامة الشعب على الفتك بالمتآمرين[1] ، كما كشفت رحلة الهلالي عن بروز قوة تصرف مشايخ المنطقة في أجزاء كبيرة مستقلة منها مما أفصح عن ضعف الحكم المركزي كما صورت لنا هذه الأخيرة الوضع المتردي في حديثه عن بسكرة بأنها أول أعمال الترك ولهم فيها أحكام شديدة أضعفت أهلها غاية الضعف مع زيادة إغارة عريف ذلك المكان فكادت لذلك تدخل في خبر كان مع أنها بلدة قل ان تجتمع في بلدة ما اجتمع فيها من أسباب كالماء الجاري وكثره النخيل واتساع المزارع ولكن إذا ضعف العام فكيف تقوى العمارة جبر الله حالهم[2] ، كما كثرت أوصاف التقديم والإعجاب بالأمراء المحليين في رحلة العياشي لما كانوا يقومون به من أعمال حسنة ومن ذلك وصفه لأمير ورقلة "**مولاي علاهم**" الذي عرف بحسن سيرته[3] وقد انطبق الأمر على صاحب القليعة في وصفه: "همته على قدره همته مستعملة" كما أثنى العياشي في وصف أمراء تقرت لأخلاقهم الحسنة وابتعادهم عن كل صفات الذميمة وأنهم اعدل الأمراء الذين رآهم على الإطلاق قال وكان والدهم هذا سيد الشيخ من أمراء العدل على ما يحكى عنه وأولاده في سيرته لا يقدمون على أمر إلا بعد سؤال متفقهم ولو كان عندهم من يحملهم على شريعة يد لهم عليها لأقاموا الدين على وجهه وهم اعدل ما رأينا من الأمراء وانطبق هذا الأمر على أهل البلدة من الفقهاء وغيرهم[4] كما أشار أيضا إلى شيوخ البلدة ومدى اهتمامهم بالثقافة والعلم والفقه والمؤلفات فيقول على لسان إمام المسجد الذي لا فق العياشي الى مكتبة الأمير وأدخلهم إلى كتبه وسامح لهم بالاطلاع عليها[5] .

---

[1]–**ابو سالم العياشي** ، مرجع سابق، ص118.

[2]– الهلال السجلماسي، مصدر سابق، ص42.

[3]– عباس الازهري، مرجع سابق، ص 42.

[4]– ابو سالم العياشي، ما الموائد، مصدر سابق، ص 67.

[5]– ابو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ص 117 – 118.

01-الأوضاع الداخلية المطلب الثالث: الأحداث السياسية من خلال الرحالة:

ومن الصراعات التي تزامنت مع عهد الرحالة ما نقله لنا ابي سالم العياشي في رحلته عن ما وقع بين أمراء تقرت و ورقلة واثناء نزوله بهذه الأخيرة قد تصادف مع وقت كانت تعاني أثناء الاضطرابات السياسية فيقول في ذلك" قد خلا كثيرا من الناس بسبب فتنه قبل وصولنا بنحو شهرين"[1] ويبدو أن هذه الفتنة هي مؤامرة ضد الأمير مولاي علاهم دبرها له أفراد حاشية فيه من أعيان والأشراف الذين سماهم العياشيين بيضه البلد وعصبة أهلها وهم مغاربة بقايا الادارسة وبني مرين والسعديين الذين كانت لهم امتيازات واسعة وعاشوا حياة الترف والقدح وجمعوا الثروات ضخمة فشكلوا بذلك قوة مناهضة ومهيمنة على مقاليد الأمور[2] ،كما جاء في رحلة الورتيلاني ذكر قبائل زواوة في طريقهم لزيارة الوالي الصالح سيدي احمد بن عمر مشيرا في ذلك إلى الفتنة الواقعة في بلد المسلمين وضرورة إصلاح ذات البين، حيث قال:" قل أن ترفع والهرج بينهم أزال الله ذلك بمنه وكرمه وحكم السلطان غير النافع فيهم" فيجب على من يقبل منه بأن يذهب إليهم ويصلح حالهم ليرفع ما فيهم من المعصية[3] ، كما أشار مرمول لهذا الوضع في حديثه عن مدينة تيقنتورين لان الغرباء المقيمون فيها ينعمون بالأمن والاطمئنان رغم الفتن التي كانت تندلع نيرانها بين الحين والأخر بسبب الحسد والنزاعات بين القواد والحكام[4] غير آن ذلك الأمير الذي سبقت الإشارة استطاع كشف المتآمرين عليه والاستعانة برعيته لحد من نفوذهم وهو ما يفهم من كلام قول العياشي فاتفق مع رعيته على قتلهم كلهم وان لا يفلت واحد منهم كبيرا أو صغيرا و أمر بسد أبواب المدينة على أن مولاي علي استطاع الحفاظ على سلطته[5] وهذا بفعل تقدمه على من هم خارج البلد من الأعراب وطلب منهم أن يترصدوا خارج السور ومن افلت منهم خارج البلد قتلوه

---

[1]- ابو سالم العياشي، ما موائد، مرجع سابق، ص 63.

[2]- أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ص 73.

[3]- الحسين بن محمد الورتيلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار مكتبة الثقافة الدينية**، القاهرة، ط 1 ،2006 ،ج1، ص117

[4]- مرمول كربخال ،المصدر السابق،ج 3،ص163.

[5]- عباس الازهري، مرجع سابق، ص 179.

على حسب ما ورد في قول العياشي فقام عليهم السيف بغتتة هو ومن معه فقتل منهم مقتله عظيمة نحو من المائتين ولم يسلم منهم إلا من تسور جدار المصور أن لم يلقه الاعراب افتدى منهم[1].

الى جانب ذلك كان موقف بعض جيرانها المشايخ مثل انقوسا التابعة إلى وادي ريغ وكان أهلها آنذاك في صراع مع السلطان ورقلة معاديا من تلك الواقعة إلى حد الشك في كل من يتصل بأهل ورقله حتى الحجيج الذي جاء في حديث العياشي بخصوص ذلك فعند نزولهم بالمدينة منعوهم من الدخول بحجة أن الأمير أرسلهم من باب الخديعة، حيث وصلت بهم الضغينة والحقد إلى النزاع الأمر الذي جعلهم لا ينشغلون ذلك العام سوى بالجهاد ومعتبرين في ذلك أهل ورقلة كفار بسبب الفعلة المستقدمة[2] وقد سأله حكام بني جلاب عن جواز قتال أهلها في إطار تغيير المنكر وهو ما أنكره العياشي واقر بعدم جواز ذلك لأنه يؤدي يؤدي إلى منكر أعظم منه[3] وعن منطقة عين ماضي قد تطرق الرحالة الناصري إلى مسألة تاريخية هامه وهي أن هذه المنطقة قد تعرضت في تلك الفترة إلى غزوه مولاي عبد الملك الذي قام بنهب القرية ويتأكد في هذا قوله "إلا أنهم سلط الله عليهم مولاي عبد الملك ومزق أعراضهم وكسر عليهم الهيبة و اخذ خزائن الأعراب وسط ديارهم زرعا وسمنا وثمرا واخذ عندهم ألف ريال ولم يترك لهما شيئا[4] وقد ساهمت هذه السرعات القبلية إلى تردد العلاقات السياسية بين المشايخ الثلاثة التي كانت متمركزة في المنطقة والتي أصبحت نتيجة تلك الخلافات معزولة سياسيا تعاني انكماش اقتصاديا وتقهقر عمراني[5].

---

[1]– ابو سالم العياشي، مصدر سابق، ص115.

[2]– محمد محمودي، **صورة المدينة الجزائرية إبان العهد العثماني في رحلة العياشي المغربي، مجلة الحضارة الإسلامية**، ع 27 جامعة قسنطينة، ص222 .

[3]– ابو سالم العياشي، الرحلة العياشيّ ،موائد المصدر سابق، ص 63 .

[4]– عباس الازهري، المرجع السابق ص 78

[5]– **الطاهر بن خدة** ،دور الأتراك في انبعاث ووحدة الدولة الجزائرية الحديثة، **مجلة العصور الجديدة** ،ع 11، 12 ،2013– 2014 – ص81.

2- الأوضاع الخارجية

أما عن السياسة الخارجية والأمن الجهاد كما تظهر في الرحلة العياشية من خلال الإشارة إلى تهديد القوى الأوروبية الناهضة لسواحل المغرب الأقصى المعروف وقتئذ بالمغرب بحيث كل السواحل المغربية عرضة للغزو البحري إما على شكل غارات عدائية أو بناء على السلمية او العقود المشروعة في شمال سوف برج الملح من الموانئ الجيدة التي ينزلها النصارى لأخذ الملح من السبخة[1] هناك وذلك بإذن من أمير البلد نظيرا دفع الثمن والضرائب المقررة[2] ومن الإحداث التي عاصرها العياشي كانت لها وقع على الجانب السياسي للبلاد ثوره ابن أبي محلي[3] احمد بن عبد الله التي وقعت اوائل القرن 17 سنة 1610 تحت شعار ادعاء المهدية في تلك الربوع واستولى على الجهات الواسعة من أراضي البلاد الجزائرية الواقعة بالجنوب وخاصة وادي الساورة الذي تمت الإشارة إليه في المرحلة العياشية من خلال قوله أنها بداية الأمر ودعوته حيث استطاع توحيد الناس بدعمه للجهاد في سبيل نشر دعوته[4] التي دامت حوالي 3 سنوات[5] كما جاء في قوله قوله ونزلنا قرى بني عباس وبأحد قراها كان سيد احمد بن عبد الله بن ابي المحلي القائم فيما مضى[6] بالإضافة إلى ذكر بعض الحملات التي شنها الشريف لإخضاع بعض الإمارات الصحراوية[7] وهذا ما أكد عليه في قوله جاءنا خبرا من المغرب أن طائفة من عرب مولاي محمد أغارت على العرب الذين باحواز الكراكدة، هذا يدل على نفوذ العلوي في الاراضي الصحراوية

---

[1]- ابو سالم العياشي، ما الموائد، مرجع سابق، ص 63.

[2]- عبد الله الحضيكي ،المصدر السابق، ص 84.

[3]- ابن أبي المحلي احمد بن محمد بن عبد الله ابن ابي المحلي ولد بسلماجا بالمغرب سنه 967 رحل إلى فاس لطلب العلم مدة وحج الى المشرق وقد عرف بتأليفه كثيرا وخوضه للعديد من الثورات الطامعة في السلطة إلى ان توفي، انظر عبد الله المجيد قدوري، ابن ابي المحلي علي الفقيه ثائر ورحلته الأصيلة الاخريت ص 46

[4]- **عبد المجيد قدوري** ،ابن ابي المحلي على الفقيه الثائر ورحلته الاصليت الاخريت، منشورات عكاظ، ط1، 1991 ص 62.

[5]- ابو سالم العياشي، ما الموائد، مرجع سابق، ص 61.

[6]- عبد المجيد القدوري، المرجع السابق ص 63

[7]- ابو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 77.

وإطماعهم التوسيعية بادعاء النسب الشريف وراء حملاتهم[1] أما عن مدينة طرابلس فقد استولى عليهما النصارى في القرن الرابع عشر ايام السلطان المراكشي المريني أبي عنان في 30 ابريل 1510 ولم يتم افتكاكها إلا بعد 40 عاما وذلك في سنة 1551 على يد درغوث باشا والي جربة ومراد باشا والي مسلاتة وبصفة طرابلس مركز رئيسيا على طريق الحج المغربي ونتيجة لصلابة البحرية المباشرة باسطنبول لم يكن من المستغرب ان تكون محطم للمشتغلين بالسياسة[2]

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية

_المطلب الأول: النشاط الزراعي

- **استغلال المياه الجوفية:** لقد ذكر العياشي العديد من مصادر المياه ومنها الأودية كوادي جير الذي وصفه في قوله:" واد كبير فحيح ملتف الأشجار قليل الأحجار كثير المراعي تجتمع إليه السيول من المسافات البعيدة ....وعليه قرى ومزارع والعمارة متصلة في جوانبه إلى أن يصل إلى أطراف الحماد الكبير فهناك تنقطع العمارة[3] ، وقد عني العياشي عناية فائقة بإخبار الماء في في الصحراء في أماكن تواجده وكيفية استخراجه وتوزيعه وقيمته فذكر الوديان مثل: وادي الساورة والناموس ولم يقتصر على هذا فقط بل ذكر لنا الأحساء والحاسي في الصحراء هو منبع الحياة بالإضافة إلى ذكر المدن والواحات : غرداية ، ورقلة، والأغواط ،أولاد جلال، بسكره، توقرت[4] ، ومن بين الينابيع التي أشار إليها العياشي تلك التي وجدناها عند نزولها بالقليعة فيقول:" و بها أبار كثيرة مليئة بالماء"[5] ، كما نجد ما أورده الرحالة الناصري في هذا الخصوص عندما زار مدينة مدينة بسكرة في قوله:" داخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبه منها في الجامع بئر لا تنزف و داخل المدينة جنات يدخل الي من النهر " كما أشار أيضا الى وادي سيدي عقبة يقال له ايراز ويقال

---

[1]– ابو العباس احمد بن خالد الناصري الاستقصاء لأخبار، دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، جعفر الناصري محمد الناصري دار الكتاب الدار البيضاء 1997 ج 7، ص

[2]– الطاهر بوخدة، المرجع السابق ص 213.

[3]– أبي سالم العياشي ، المصدر السابق ، ص 67.

[4]– حفناوي بعلي ، المرجع السابق ، ص .42.

[5]– أبي سالم العياشي ، المصدر السابق ، ص113.

له رؤوس العيون وماؤه عذب ثم ذكر واد الخضراء وبه حفر ماء قليل لا تغني شيئا[1] وقد اهتم الرحالة السجلماسي أيضا بهذا الجانب نظرا لأن الماء يشكل نقطة أساسية لسالك الطريق فقد نقل لنا معلومات في غاية الأهمية عن أماكن توفر الماء وانعدامه، حيث كثير ما كان يصف خصائصه من عذوبة وملوحة كوصفه الدقيق لوادي جير في قوله:" فمررنا بواد جير بكره ولم تنقطع بمائه الأجاج المستنكر اقبح به كأنما هو ملح أذيب به بل هو أخبث المرارة فيه ..... فان الملح المر المتراكم حواليه .... وسرنا ذلك اليوم وحس الظمأ بعض القوم فنزلنا " كما شدت انتباهه ظاهره تراوح عذوبة الماء وملوحتها عند مروره بواد يعرف بد رمل وهو واد كبير كثير الحطب فيه مياه في مواضع بعضها ملح أجاج وبعضها عذب فرات[2] كما جاء ايضا في رحلة الباي محمد الكبير الحديث عن وجود الماء عند وصولهم الى منطقة الحواجب قبال" تاجمونت" في قوله:" وبهذه الدار عيون كثيرة وماؤها عذب سائغ للشاربين وتحته مزارع تسقى منه"[3]،وقد وصف العياشي طريقه حفر تلك الآبار والعيون التقليدية عند أهل و ورقلة ووادي ريغ في قوله:" ... ومن غرائب هذه البلدة استخراج عيون الماء غزيرة بحفر الآبار فيحفرون بئرا بنحو من خمسين قامة ثم يصلون إلى حجر مصفح على وجه الأرض فينقرونه فإذا نقبوه فاظا منه الماء فيضان قويا ويطلع كذلك بسرعة إلى فم البئر ويصلون عين فان لم ماء يتدارك الحافر بالجذب أغرقه الماء"[4] وفي نفس السياق ورد حديث الأغواط في قوله:" و لورقله منابع مائية كثيرة والماء يجلب فيها بحفر البئر بعمق مائه وسبعين ذراعا حيث يصل الى البحر الحلو فيمتلئ البئر في الحال بالماء ويصبح جدولا جاريا "[5] ومن بين الأساليب الأخرى التي ذكرها ابي سالم " القلت" والتي يعتمد عليها سكان منطقة ورقلة وهي عبارة عن مستنقع صغير يستعمل للحفاظ على

[1]– عبد السلام الناصري ، المصدر السابق ، ص.128.

[2]– فاطمة بالهواري، المرجع السابق ،ص42.

[3]– محمد ابن الهطال التلمساني ،مصدر سابق، ص 51.

[4]– أبي سالم العياشي ،الرحلة العياشية،مصدر سابق، ص 123.

[5]– الحاج ابن الدين الأغواطي ،مصدر سابق، ص 101.

الماء[1] وقد كانت الحياة الفلاحية بوسط اقليمي توات تقوم على استغلال المياه الجوفية وتوزيعها على المساهمين وفق الحصص وذلك لجفاف المنطقة التي تعتبر اكثر المناطق الصحراوية جفافا وأكثرها حرارة وذلك وفق نظام سقي المعقد يعرف بالفقارة[2] ،والذي أشار إليه العياشي في قوله:" .... واغلب بساتينهم بالخطاطيم.....وهي آبار متعددة يقف من جنب كل واحد للآخر فيزيد ماؤه وينمو مع زيادة غيره عليه ولا يزال كذلك حتى يخرج على وجه الأرض فتستقر به الأجنة والمزارع ويجزاه أجزاء كثيرة بالأيام وقد يجزئ اليوم الواحد بأجزاء كثيرة" وهذا يدل على أهمية الماء المتوفر في ازدهار الواحات[3].

- **المنتجات الزراعية** : لقد تحدث الرحالة عن زراعه النخيل بكثرة لأنه يحتل ألمرتبه الاولى في الصحراء نجد ما أورده الهلالي عند زيارته لقرية سيدي خالد" و تسوقوا وسط الركب رجالا ونساء وولدان يبيعون الثمرة وهو كثير عندهم ومع ذلك غال جدا و أجوده عندهم نوع يسمونه الحرة "[4]، وأشار العياشي إلى منطقة توات في قوله:" وبها من التمر أنواع كثيرة"[5] وقال الناصري الناصري عن مدينة بسكرة انها كثيرة النخيل[6] وتعتبر ورقلة هي الأخرى أكثر كثافة من حيث نخيلها حسب ما يشير إليه العياشي في قوله:" ... وتراءى لنا نخل واركلا كأنه سحابه وطفاء، واناقه عجفاء....." ويؤكد هذا الراي الرحالة الاغواط في قوله:" فهي تعج بأشجار النخيل "[7] وقد انتشر هذا النوع من الزراعة في بسكرة أيضا حيث يذكر العياشي في قوله:" وهي قوله:" وهي ذات نخل كثير وزرع كثيف .... بها مجاري نواحيها وزرع وحناء الى غير ذلك من

---

[1]– ابي سالم العياشي ، الرحلة العياشية،مصدر سابق ،ص 127.

[2]– **الفقاره:** هي عبارة عن منهج نمط تقليدي يقوم على استغلال المياه الجوفية وتحويلها نحو الواحات يجري توزيعها بعدل وتساوي بواسطة عدة مجاري على شكل مشط يسمى القصرية واشهر قصرية ملوكة، انظر احمد سليماني ، تاريخ المدن الجزائرية، ص179.

[3]– الهلال السلجماني، مصدر سابق، 284.

[4]– ابي سالم العياشي ،الرحلة العياشية ،مصدر سابق، ص 116.

[5]– ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط:خ ، دار البصائر ، الجزائر، 2007 ،ج1، ص 251.

[6]– أبو سالم العياشي ،مصدر سابق، ص 82.

[7]– ابي عبد السلام الناصري مصدر سابق ،ص 222.

الفواكه والخضر"[1] وعن مدينة تاجوراء قال عنها مرمول في جوف هذه البادية يوجد بساتين خضراء ونخيل جيد واشجار مثمره يتم سقيها بالماء المستخرج من الآبار بواسطة الناعورات[2]، كما تحدث العياشي عن منطقه وادي سوف واصفا إياها في قوله:" وصلنا الى سوف وهي خط من النخيل مستعرض في وسط الرمل..... وماؤها طيب غزير قريب من وجه الأرض أخبرني أهل البلد أنهم إذا أرادوا غرس النخل بحثوا في الأرض قليلا حتى يصلوا إلى الماء فيرغسونها بحيث تكون أصولها في الماء ثم يردون عليها الرمل فلا تحتاج إلى السقي أبدا"[3] ، ويقول في موضع آخر عند نزوله بمكان يقال له الرباح واصفا لها ظاهره رآها في قوله:" وتبعنا كثيرا من أهل البلد يلتقطون البعر من منازل الراكب للنخل " ويفهم من هذا القول ان سكان الصحراء يستعملون بعر الإبل في غرس

النخيل[4] ، ويتضح من خلال ما تقدم أن السكان لم يكتفوا بزراعة النخيل لوحده بل تحداهم إلى زراعه بعض المنتوجات الاستهلاكية الأخرى وذلك بحسب ما تسمح به المساحة المروية [5]، ومن بين المدن التي عرفت بتنوع أشجارها قرية بني عباس فعند وصول العياشي إليها لاحظ وجود الكثير من الفاكهة والبساتين الحسنة[6]، ناهيك عن منتوجات أخرى مثل ما ذكره الهلالي والدلاع والشعير حيث قال بأنهم يخزنونه ليبيعوه للحجاج في عندهم في فصل الشتاء كثيرا كما قال بوسمغون بأن فيها شعير جيد جدا وقال عن بسكرة أنها كثيرة المزارع والنخل والخضر وبها شجر الزيتون وغيره[7]، ويضيف العياشي إلى هذا أن بها الكثير من النخيل والزرع الكثيف ومزارع

---

[1]– أبو سالم العياشي ،مصدر سابق، ص 114

[2]– مارمول كربخال، مصدر سابق، ج1،ص128.

[3]– أبو سالم العياشي ،مصدر سابق، ص 123.

[4]– ابو سالم العياشي ،مصدر سابق،ج1، ص.111.

[5]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، مرجع سابق، ص 543.

[6]– أبو سالم العياشي ،مصدر سابق،ج1، ص123.

[7]– الهلالي السجلماسي،المصدر السابق،ص289.

الكثيف ومزارع الحناء الى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول[1]، وهو ما أكده الناصري في حديثه عن بسكرة أنها تتوفر على الأشجار المتنوعة ثمار في قوله :" وهي بلدة الأراضي بها محاريث كثيرة وفواكه متنوعة [2]، وعن مدينة ورقلة استطاعه أهلها تفادي عواقب المناخ الجاف وأصبحت بفضل حجزها لطبقات المياه الجوفية بغرض الري والواحة تشتمل أشجار الفواكه منها التين والرمان والمشمش والليمون والبرتقال على ان المصدر الأساسي للثروة بقي التمر الجاف والطري[3]، أما مدينة تبسه تميزت عن غيرها من المدن بثلاثة أشياء لها أهميتها وهي أسوارها وما بها من أشجار الجوز المثمرة تعطي غلة وافرة وما بها من عيون المياه والمجاري [4]ومدينة توغرت تعتبر بلده الثروة والرخاء فهي تنتج التمر والتين والعنب والرمان والتفاح والمشمش والأجاص وغيرها من الفواكه وكان عندهم مشروب يسمى " الاقمي " و هو شيء بين سكان توغوت وهم يستخرجونه من فروع النخيل وذلك بالضغط عليها فيحصل من ذلك شراب يميل إلى اللون الأحمر وهو حلو كالشراب" المبردات" وهذا الشراب يباع بمكاييل في الأسواق[5].

02-حرفة الرعي: من أهم الأنشطة التي توجه إليها أغلب سكان المنطقة الصحراوية الراعي وذلك بحكم طبيعتهم البدوية ولأنها حرفه تلائم عدم الاستقرار وقد شملت هذه الحيوانات الإبل والأغنام والخيول كما يذكر العياشي في رحلته" .... وبخارج هذا البلد- توات- مرعى حبس الإبل صلحت فيه ابل الحجاج أيام الإقامة[6] ونجد ما أشار إليه أيضا أثناء دخوله مع ركب الحجيج إلى ورقلة فإنه تصادف دخوله معها فيقول: " وكان من لطف الله بالحجاج أن صادف

---

[1]- أبو سالم العياشي ،مصدر سابق،ج2، ص 540.

[2]- ابي عبد السلام المناصرين، مصدر سابق، ص 141.

[3]- اسماعيل العربي، مرجع سابق،ص160.

[4]- مارمول كربخال ، مصدر سابق ، ج3 ، ص15.

[5]- الحاج ابن الدين الأغواطي، مصدر سابق، ص 100 ، 101

[6]- **رشيد حفيان رشيد حفيان**، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وآثارها في العهد العثماني خلال القرنين القرنين 17 و18 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2013- 2014 ، ص 63.

دخولهم دخول قافلة من الأعراب والأرباع قدمت بثمن كثير وغنم وإبل وزرع واشترى الناس ما احتاجوا إليه بأرخص ثمن " ثم تابع كلامه عن قبيلة اخرى تمتهن نفس النشاط" ..... وقدمت اخرى بعدها بيوم تحمل مثل ذلك واكثر..... واشترى الناس غنما كثيرا"[1] ومن بين الحيوانات البرية الموجودة نذكر: الغزلان والإبل والضب والورن والفنك[2] وقد أشار العياشي الى سكان وادي سوف أنهم كثيرا ما يقتنون الكلاب للصيد فان بلادهم لا تصيد كثير وجل معيشتهم منه ومن التمر و تمرهم من أطيب ثمار تلك البلاد. وهذا يدل على وفرة اللحوم والصوف والجلود[3] أما أهل نفزاوة فهم يحرثون على البقر وفرسانهم يهوون ممارسة رياضة الصيد بالصقور وهم على ظهور الخيل بينما بلاد الجريد فهي الى جانب التمر تعتبر بلاد البغال والحمير التي يسافرون عليها حتى طرابلس[4]، وقد وصف لنا العياشي مزارع نفراوة متعجبا" وجدنا في تلك المزارع قوما يحرثون ببقرة واحده ولم يعهد مثل ذلك في بلادنا " وما زاد بعدها حتى رأينا آخر يحرث ببعير ..... وما قضينا العجب حتى رأينا أعجب منه: إنسان يحرث بإنسان أخر يمسك احدهم المحراث ويجر الأخر ولم نملك أنفسنا أن نزلنا على الرواحل لتفرج فيهم وأعانهم على ذلك[5].

المطلب الثاني: النشاط الصناعي

1- **النشاط اليدوي السائد:** نستدل من خلال الثياب الكثيرة الملقاة دون استعمالها على وفرة ذلك الإنتاج وما تطرق إليه العياشي في رحلته الحجية ويؤكد هذا في زيارته إلى الولي الصالح الذي كان عمل يعمل بداره على اله لمسجد الثياب وأنها من عمل يده ويفهم من هذا أن الصناعة النسيجية كانت قائمة آنذاك إلا أنها لم ترقى الى مستوى الصناعة بل كانت مجردة حرفه بسيطة[6]

---

[1]- أبو سالم العياشي ،مصدر سابق،ج1، ص114.

[2]- احمد سليماني، مرجع سابق، ص .63.

[3]- أبو سالم العياشي ،مصدر سابق، ص 123.

[4]- أبو سالم العياشي ،ماء الموائد، مصدر سابق،ج1، ص.126.

[5]- أبو سالم العياشي ،مصدر سابق،ج1، ص126.

[6]- أبو سالم العياشي ،مصدر سابق،ج1، ص118.

وما لفت انتباه العياشي هو صناعه الأسلحة التي لاحظها عند زيارته لمدينة الاغواط في قوله: " إن جل أهلها صبيحة يوم العيد يحمل بحوزته سلاح خاص به " ويفهم من هذا ان لا احد يخرج بدون سلاح كبيرا كان او صغيرا وهذا يدل على وفرت الاسلحه وتنوعها [1] ، هذا الأمر فصل فيه الاغواطي بكثرة بحيث قال أنهم كانوا يعرفون بصناعة المدافع والبارود في حديثه :" يجمع التراب من الأرض أو من ملاط في القرى المهدمة.... يوضع في معون ويصب عليه الماء إلى أن يصبح خائرا ثم يوجد رطل منه ويخلط مع أربعة أرطال من الكبريت و أربعة أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى"[2] كما قدم لنا الرحالة الهلالي صوره عن شهرة بعض المناطق بالصناعة التقليدية والحرفية كالصناعة النسيجية التي تمثلت في البرانس والجلود المدبوغة ولقوله برانس البلدة محتاج إليها في الطريق أوان الشتاء نافعة جدا لمتانتها مع رخصها هنا غالبا"[3] ، كما أشار أيضا إلى صناعة البارود وصناعه بعض الأسلحة المتمثلة في المدافع حيث قال:" بأن مدافع هذا هذه النواحي لا زناد لها تضرب بنار في فتيلة ولذا يقال لهذا النوع من مدافع بوفتيلة"[4].

2- الأسواق وأهم المنتجات التجارية:

كانت القوافل التجارية [5]، المختلفة العابرة للصحراء بالجزائر خلال الفترة العثمانية تجيء وتروح بين كل الاتجاهات حاملة معها مختلف الأنواع والسلع[6] ومع هذه الحركة النشطة للقوافل

---

[1]- أبو سالم العياشي ،مصدر سابق،ج2، ص523.

[2]- الحاج ابن الدين الأغواطي، مصدر سابق، ص 109.

[3]- فاطمة بالهواري، مرجع سابق، ص 48.

[4]- الهلالي سجلماسي، مصدر سابق، ص 148.

[5]- مولاي بالخميسي، المرجع سابق، ص .28.

[6]- **القافلة لغة** : يقال جاءهم القفل والقفول واشتق اسم القافلة من ذلك لأنهم يقفلون ، أما اصطلاحا: فالمقصود بها القوافل التجارية وهي تنظيم المسبق تقوم به جماعات اغلبها تجار هدفهم اقتصادي وهو الربح التجاري. انظر ابن منظور ، ج5 ، ص 634 .
مولاي بالخميسي، المرجع سابق، ص .

كان لابد من وجود أسواق[1] تستوعب وتعيد وتوزيع هذه البضائع ومن بين هذه الأسواق: المزاب، تقرت، تماسين ، ورقلة التي تعتبر من أهم وأشهر الأسواق بالجنوب الشرقي وكانت تقصدها العديد من القبائل المختلفة الأرجاء كقبيلة الشعابنة التي كانت همزة وصل مع القبائل التركية حيث كانوا يقومون بعملية البيع والشراء وذلك على طول طريق الحج [2] مع ان الكثير من الحجاج لما غلى صرف الذهب في تافيلالت اخر الصرف إلى توات فان الذهب فيها ارخص وكذلك سعر القوتي من الزرع والتمر يوجد فيها البضائع والسلع التي تجلب من الغربي مما هو خارج السودان نافعة في هذه البلاد كالخيل والملابس العلف والحرير اذ يقول العياشي في هذا الصدد:" فإذا قدم المركب إليها كان السوق حافلا...." [3] وفي موضع آخر يقال له" الجديد" قال أيضا:" تسوقنا هناك من الأعراب واشترى الناس منهم محتاج بأرخص الثمن و قدمت أخرى بعدها بيوم تحمل مثل ذلك وأكثر فتنعم الناس في اللحم والتمر والسمن واشترى الحجاج غنما كثيرا حتى كانت تلك الليالي الثلاث التي أقاموها ليالي منى من كثرة اللحم" م وهذا يدل على وفرت لحوم الإبل بالمنطقة[4] ، ونورد في هذا الصدد قول الوزاني أن أسعار اللحوم" المواشي" كانت مرتفعه ولهذا كانوا يشترون لحم الجمال والشحم المالح الذي يأتي به تجار فاس وتلمسان و تحصل لهم منه أرباح كثيرة[5]، أما المنتوجات التي شملت عليها الأسواق في الغالب إضافة لما ذكره الرحالة هي المنتجات الصناعية الحرفية ومحاصيل الغزل والنسيج والعطارة بالدرجة الأولى كما عرفت تجارة الكتب والمخطوطات رواج عظيمة آنذاك لما تدره من أرباح أضعاف ما تجنيه السلعة الأخرى[6]،

---

[1]– **الأسواق:** هي مجال فاسح للتبادل التجاري يتيح عملية البيع والشراء فنجد أغلب المراكز التجارية والمدن تتوفر على الأسواق ونقاط الراحة القوافل كانت من بين النقاط الموجهة والمرشده والمساهمة في رسم شبكة الطرق بين البلدان المغاربية. انظر عبد الله بن محمد الشويهد ، قانون الأسواق ، مدينة الجزائر، ص 46.

[2]– محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 – 1830 (ش.و.ن.ت) ، الجزائر، ص 109 .

[3]– أبو سالم العياشي ،مصدر سابق،ج1، ص114.

[4]– أبو سالم العياشي ،مصدر سابق،ج1، ص79–80 .

[5]– أبي حسن الوزان ، مصدر سابق، ص 134.

[6]– ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 197.

وقد ذكر العياشي سوق عين ماضي خلال مسيرته إلى مدينة الأغواط بعزمه على بيع بعض الكتب هناك [1] ، وأثناء عودة الباي محمد الكبير من غزوته الأغواط استقبله أهل تاجمونت ودفعوا له ثلاثين حملا من العلف ولما نزل بموضع يقال له" امساج" او"ادماج" بين تاجموت وعين ماضي وقاع البيع والشراء بين تاجمونتين وجنود الباي فقد اشترى أهل تاجمونت من المخزن الغنم ريال بقيمة ريال واحد لكل ثمانية رؤوس غنم والبقرة كل أربع رؤوس بريال واحد ومع ذلك لم يدفعوا لهم دينارا ولا درهما وإنما دفعوا لهم البرانس والحياك لاتقاء البرد ويتبين من هذا الحديث أن البرانس حرفه سكان الصحراء وهي موجودة بكثرة لكثره الطلب عليها[2] وذكر الرحالة الناصري انه وجد الزرع في فجيج أفضل من تافيلالت في قوله" ثلاث موزونات بالمد ومدهم على ما اخبرني بعضهم ثلاثة آصع ، وهذا البلد د لا يروج فيه الا الموزونة الخفيفة وأما الوازنة فلا .... فاشترى الحجاج ما احتاجوا إليه من الاكسيه والبرانس وغير ذلك من الثياب"[3] وأهل تيكورارين أغنياء ويتنقلون كثيرا إلى السودان من اجل التجارة التي تدر عليهم أرباحا طائلة بحيث شكلت هذه المنطقة نقطة التقاء وتجمع بالنسبة للقبائل التي تعبر صحاري ليبيا إذا يجتمع هناك التجار الوافدين من بلاد البربر وغيرها فيرحلون معا الى السودان [4]، وهنا أشار الوزان الوزان إلى منطقة توات وانتظار توافد ذي القوافل التجارية اليها الذي يعد دليلا على تطورها الاقتصادي وقال أن قوافلها كانت تتعامل مع تجار السودان آنذاك أين كانت تقام بها آنذاك أسواق كبيرة[5] ، وقد أشار العياشي إلى غلاء اللحوم فيها لأنها تتوفر على أغنام وأبقار الناس لأكل لأكل لحوم الخيول أو الجمال الهارمة التي يشترون من الأعراب الذين يتوافدون على السوق الأسبوعي كما يتغذون بالشحم المملح الذي يأتي به التجار من فاس وتلمسان[6]، أما أهله تافيلالت

---

[1]– محمد بن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 108–109.

[2]– ابي عبد السلام الناصري، مصدر سابق، ص 126.

[3]– مارمول كربخال ، مصدر سابق، ج3 ، ص163.

[4]– أبي حسن الوزان ، مصدر سابق، ص 133

[5]– ابو سالم العياشي ،مصدر سابق،ج1، ص.

[6]– مرمول كربغال ، مصدر سابق، ص156.

أهلها أثرياء مهذبون ينتجون خيلهم أجود ما في بلاد نوميديا من الثمار ويملكون العديد من رؤوس الإبل و غيرها من الإنعام ويجد المرء في أسواقها أجود الجلود من ليبيا وغيرها من جنود الجاموس كما يجد الثياب الزاهية المصنوعة من الحرير والصوف والزرابي والأغطية الرفيعة مع بضائع أخرى[1] ، كما نجد ورقلة هي الأخرى مركز استقطاب التجار الذين كانوا يتوافدون من الشمال كقسنطينة وتونس وغيرها وكانوا يعرضون بها البضائع الذين يأتون بها من بلاد البربري ويستبدلونها ببضائعها وارده من السودان[2] بحيث شملت أسواقها أماكن لبيع المواشي واستبدالها كسوق تقرت الذي أشار إليه العياشي في قوله:" واشترى الناس محتاج إليه وأقمنا يومين وبدلنا من الاباعر ما ضعف "[3] وقد كانوا يقومون بعمليه البيع والشراء ذلك على طول طريق الحج[4] ومن أهم المنتوجات التي كانت تصدرها الأسواق عاده هي التمور والأقمشة الصوفية وخاصة إلى تونس وهذه الأخيرة كان يجلب منها التبغ وبعض المنتوجات الزراعية والقطنية[5].

المطلب الثالث: النشاط التجاري

1- الطرق التجارية : لم يفوت الرحالة الحديث عن التجارة ومعاملاتها من بيع وشراء بين سكان مناطق الصحراء التي مر بها فشكلت بذلك مراكز عبور حيوية لتبادل السلع والبضائع بين مختلف القوافل في ذهابها و إيابها خاصة قوافل الحج[6]، وقد وصف الرحالة العياشي الجانب التجاري وقال انه كان مزدهرا وان أهل تسابت – إحدى قرى توات – أصحاب تجارة " كما أنها مجمع القوافل التجارية الآتية من بلادي تنبكت و من بلاد أكديز بأطراف السودان الغربي" حيث كانت

[1]– العربي الزبيري، مرجع سابق، 157.

[2]– العربي الزبيري، مرجع سابق،157.

[3]– أبو سالم العياشي ،مصدر سابق،ج1، ص81.

[4]– العربي الزبيري، مرجع سابق،185.

[5]– مارمول كربغال ، مصدر سابق، ص166.

[6]– فاطمة بلهواري، مرجع سابق، ص 43.

توا تربط بين المغرب العربي والبلدان الإفريقية وبين الأطلس التلي والصحراوي[1]، بالإضافة إلى توات كانت كل من تقرت و ورقلة التي زارها في طريقه أنها محطة رئيسية للقوافل وملتقى للمسافرين والحجاج القادمين إليها من مختلف الأقاليم سواء المتجهة إليها من الجريدة أو السودان الإفريقي[2] ، وهذا من خلال ما ذكره العياشي في قوله:" .... ونزلنا وأنا ذاك بباب المدينة المسمى باب السلطان... وكان من لطف الله على الحجاج من صادف دخوله قافلة من الأعراب الأرباع تحمل ثمنا كثيرا..... " أما عن مخاطر هذه الطريقة التي تمت الإشارة إليها في كثير من المواضع والمعيقات الطبيعية كنقص الماء والكهرباء المغارات والرمال الصعبة مثل قول العياشي" ما حسن تسميتها بقرية" أي أنها تفتقد لشروط المرافق الضرورية التي يحتاج إليها المسافر[3] وهذا أن عكس سلبا على حركية التجارة بحيث انه كثيرا ما يتعرض أو يجتاز التجار أو الحجاج لخطر قطاع الطرق[4] وهذا ما اكله الوزان في قوله:" إنه من النادر ان يفلت التجار من أيدي قطاع الطرق "[5] وما يلاحظ على شبكة الطرق التجارية لبلاد المغرب الإسلامي فإنها تمتد من الشمال إلى الجنوب أي بين الحواضر الكبرى في بلاد المغرب من جهة وبين مدن وأقاليم بلاد السودان من جهة ثانية هذه العلاقات جاءت نتيجة امتداد جغرافيا بين كل المنطقة في الشمال وما يقابلها في الجنوب بعض المدن الواقعة على نحو الصحراء مثل ورقلة وسجلماسة دورا فعالا في التواصل التجاري والحضاري بين بلاد المغرب الإسلامي والسودان عبر طريقين هما: الطريق الأول الرابط بين الجزائر وحواضرها مع بلاد السودان عن طريق المسيلة ورقلة والطريق الثانية الرابط بين البلاد التونسية مع بلاد السودان عن طريق بلاد الجريد ورقلة[6] ، وكانت وكانت البضائع المستوردة من أوروبا لا تدخل المدينة إلا بعد ما يؤدي أصحابها رسوم جمركية

---

[1]– أبو سالم العياشي، مصدر سابق،ج1 ، ص 79.

[2]– أبو سالم العياشي، ماء الموائد ، مصدر سابق، ص.96.

[3]– أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، مصدر سابق،ج 1، ص 107.

[4]– مارمول كربخال، مصدر سابق،ج 1 ، ص 63.

[5]– ابي حسن الوزان، مصدر سابق، ص 137

[6]– عباز الأزهري ، مرجع سابق ، ص 108

تذهب إلى صناديق الملك وأشير إلى أن تمر تافيلالت هو الذي يباع في المتاجر الاسبانية لان الملك السعدي كان يحرص أن لا يصدر إلى الخارج إلا تمر هذه المدينة[1] ، واهم طريق كان يسلكه الرحالة المغاربة في تلك الفترة هو طريق الحج ومن أبرزهم العياشي الذي وصفة في طريق الذهاب والإياب والذي سمي فيما بعد بالمحجة أو المحجة الكبرى بمعنى الطريق الرئيسي للحج وهو الطريق التاريخي الممتد عرضا من برج خصوص شرقا إلى منخفض تازا غربا والذي تتصل به طرق فرعية و رئيسية ما بين الشمال وبلاد السودان أشهرها وقتئذ طريق سجلماسة – أودغست – تمبكتو – غانة "تكرور سابقا "[2] ، وكان مغاربة الجنوب (سكان سوس ومراكش) اذا استعدوا للحج فضلوا عبور الصحراء على الطلوع للشمال واتبعوا طريق التلي وكان طريقهم العادي: فقيق ، بوسمغون ، الغسول ، عين ماضي ، تاجمونت ، الأغواط ، سيدي خالد، بسكرة، سيدي عقبة، زريبة حامد، زريبة الوادي، شرفة البعل ، فتوز، و العياشي اتخذ في سفره إلى الحجاز شمال الجنوب حتى توغل في الصحراء و وصل إلى واحات توات مسايرا وادي جير و واد الساورة و واد طمغاوب ثم طريقة شمال شرقي من أوقرت إلى القليعة إلى ورقلة ثم إلى تماسين و تقرت وسوف وسبب هذا الاختيار هو وجود الماء والكلأ وكثرة الواحات وهذه الأمور هي أشياء مهمة لركب الحج[3]

وهنا نورد قول الحضيكي لما زار قرية الغاسول في :" أن تشوق الناس مع العرب وهناك دفعنا حملين اشتريناهما بسجلماسة وهزلا..." كما قال بأن بهذه المنطقة يوجد جبل من الملح على طريق الحاج تراه جروف بيض يسيل وكان الحجاج يأخذون منه[4] والركب هو عبارة عن مدينه متنقلة بنظام ويشرف على سيرها وراحتها وامنها أمير الركب وبجانبه الإمام والقاضي ويتحرك الجميع

[1]– مارمول كربخال، مصدر سابق،ج 3 ، ص 157.

[2]– أبو سالم العياشي، ماء الموائد، مرجع سابق، ص 31.

[3]– حسناوي بعلي ، مرجع سابق، ص 51.

[4]– الحظيكي، مصدر سابق، ص83.

بأمتعتهم على الإبل[1]، وكانت طرابلس الغرب والقاهرة تمثلان أكبر محطتين في رحلة الحج المغربية التي كانت تستغرق حوالي ثمانية أشهر ومن أهم مكان يتزود به الحجاج من القاهرة هو الفول الذي يتيسر حمله[2] ، كما اشتهر أهل المزاب بالذكاء في التجارة و مهارة في المعاملات مع اهل السودان فكان يلعب دور الوسيط بين تجار بجاية والجزائر من جهة والسودان من جهة أخرى وكان أصحاب البضائع يؤدون المكوس الجمركية عما تحمله جمالهم فتضاف هذه المداخيل إلى موارد وتزيد في ثرائهم[3] ، فقد لعبت المنطقة دورا كبيرا عبر كامل فتراتها التاريخية في دعم النشاط التجاري باعتبارها شريان التبادل التجاري ومحطة للقوافل العابرة للصحراء[4]، كما تواجد عدد من التجار اليهود الذين نزحوا من الأندلس في بعض مدن الصحراء الجزائرية إلى أن أحد فقهاء هم تلمسان افتى في القوم بإباحة نهب أموالهم فلم يكتفي الناس بذلك بل فتلو السواد الأعظم من أولئك اليهود إلى أنهم تمتعوا بالاستقلال الذاتي و الآأمن والاطمئنان[5].

2-العملة والاسعار:

تطرق الرحالة الناصري في رحلته إلى بعض الملامح الاقتصادية والتي أثارت انتباهه لقضية العملات الأجنبية وتداولها في هذا البلد فأشار إلى السوق المحلي وإبراز ما عليه من الأسعار وغلاء المواد الغذائية[6] ، كقوله بأنهم وجدوا الأسعار غالية في بلدة بوسمغون[7]، بحيث قارنها مع أسواق درعة و جنوب المغرب وما عندهم من أسعار السلع وهذا ما لم يلاحظه في مناطق أخرى من المسالك الجزائرية التي مر بها ويقول أيضا أن سعر العلفة الواحدة للبغلة

[1]- مولاي بالحميسي، مرجع سابق، ص 25

[2]- أبو سالم العياشي، مرجع سابق، ص 32.

[3]- مورامول كربخال، مصدر سابق، ص164.

[4]- مولاي بالحميسي، مرجع سابق، ص27.

[5]- مورامول كربخال، مصدر سابق، ص163.

[6]- مولاي بالحميسي، مدينة ورقلة ، مرجع سابق، 91..

[7]- ابي عبد السلام الناصري، مصدر سابق، ص 200-201.

وصلت زهاء مثقال من الدراهم[1] ولان الركب يحتاج إلى كثير من التموين بالماء وغيره من المواد الغذائية الأخرى لذلك اشترى رحلتنا الكثير من الشعير من هذه المنطقة بعشرين ريالا [4] كما نجد الرحالة العياشي حدثنا عن العملات مثل التي وجدها في مدينة توات أين كانت تعامل التجاري بها بالمثقال[2]، وقيمته على حسب ما جاء في قوله:" أربع و عشرون موزونة "[3]وهو من أكثر العملات استخداما في التعامل التجاري في الجزائر [6] وقال أيضا أنهم يقولون للمثقال الأربعين مثقال شريفي نسبة للأمير الشريف صاحب سجلماسة ، وهذا يدل على أن سكان المنطقة تخلوا عن طريق المقايضة واستعملوا النقود في ملاتهم[4] ، كما قال ايضا:" ولأهل هذه البلدة دراهم يتعاملون بها يكفر فيها النحاس تشمل أربع و عشرون مع ربعي ريال"[5] و بالإضافة إلى استعمال العملة الجزائرية ذلك الوقت كان التجار يستعملون عملات أخرى كالريال التونسي المعروف" بالطرباقة " ذات الوزن المتغير أو الدور الاسباني و بالخصوص الريال [6]بمختلف أصنافه كالريال الرباعي والثمانية والتي كانت شائعة مطلوبة جدا في الجزائر العثمانية[7] ، أما تقرت كان يتم العملية التجارية بواسطة النقود الفاسية التي يتم تبادلها في منطقة بني جلال وقد وصفها العياشي في قوله:" فأما دراهمهم فقراطيط صغيرة إثنان و ثلاثون في ربع ريالـه...." [8]، كما اهتم هذا الرحالة

---

[1]– ابي عبد السلام الناصري، نفسه ، ص

[2]– **المثقال:** هو العملة الذهبية المغربية ويزن نحو 4.5 غرام ، ويقابل الدينار السلطاني في الجزائر، انظر، خليفة حماش ، **وثيقة تاريخ الجزائر بالمغرب**، ص 296.

[3]– **موزونه:** جمعها موزونات، وهي عملة فضية مغربية تساوي أربعة فلوسات نحاسي"مفردها:فلس " ، وأربع دراهم، انظر، خليفة حماش، وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب ، ص 302.

[4]– أبو سالم العياشي، مصدر سابق،ج1، ص 79.

[5]– نفسه، ص 118

[6]– **الريال** : وحدة نقدية فضية كانت مستخدمة في المغرب وكان منه المغربي الذي سكه بعض السلاطين المغاربة والاسباني الذي كان يسك في اسبانيا ويتعامل به التاجر بصورة عامة ولا زال الريال مستخدما في التعبير التجاري في أسواق المغرب إلى يومنا هذا، انظر، خليفة حماش، وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب، ص 283 .

[7] – **Diego. De haedo**, Histoire de l'Algérie traduits par de grandmont, est présenté par Rebahi Abderrahmane, Ed, Alger vivre, Alger, 2004, p 39.

[8]– أبو سالم العياشي، مصدر سابق،ج1، ص 112.

بمسألة الأسعار الخاصة بكل منطقة حيث كان يرصدها ورخصه كذكره لرخص الأسعار في إقليم توات في قوله:" ..... ووجدنا التمر فيها رخيصا وكذلك الذهب وأيضا سعر القوت من الزرع والتمر" وفي منطقة واد ريغ يذكر " أخذت في شراء القمح..... فوجدناها لا بأس بها في الأسعار فالتمر رخيص جدا فيها وفي واركلا أيضا والزرع فيها تسع آصح بريال "[1]، ففي ورقلة كانت تباع فيها المنتجات بأرخص الأثمان وذلك بسبب ثورة أهل المدينة وقيمة العملة المتبادل بها آنذاك[2] وعن مدينة بوسمغون قال عنها:" نزلنا بوسمغون عند المغرب ووجدناها ارخص بكثير من البلاد التي مررنا عليها" [3] ونجد نفس الملاحظة في بسكرة من حيث رخص الأسعار وخاصة البضاعة التي يحتاج إليها ركب الحجاج[4]، كما نجد بعض المدن اشتهرت بغلائها في الأسعار مثل الأغواط التي أشار إليها العياشي قائلا:" ووجدناها في غاية من الغلاء وخاصة القمح"[5] وهذا ما أكده الأغواطي أيضا في قوله:" نزلنا بقرية الأغواط.... وهي قرية كبيرة ذات نخل وشجر ووجدناها غالية الأسعار"[6].

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية

المطلب الأول: صفات وأخلاق المجتمع الصحراوي

لقد تحدث الرحالة عن بعض فضائل وأخلاق هؤلاء السكان ومن تلك المظاهر أو الصفات نذكر:

01 – الكرم:

إن الكرم من أهم المظاهر والصفات المتأصلة في المجتمع الجزائري في حضرها و وبدوها وخاصة إكرام الضيف المنازل عندهم وقد طبعت هذه السمة لدى الإنسان الصحراوي

---

[1]– أبو سالم العياشي، مصدر سابق،ج1، ص79–174.

[2]– مولاي بلحميسي ، مدينة ورقلة، مرجع سابق، ص 70.

[3]– أبو سالم العياشي، مصدر سابق،ج2، ص 548.

[4]– نفسه، ص 546.

[5]– فاطمة بالهواري، مرجع سابق، ص43.

[6]– الأغواطي ، مصدر سابق، ص123.

نتيجة نضاله المتواصل مع بيئته الصعبة[1] وهذا يتضح في رحلة العياشي عند زيارته المدينة لورقلة حيث قام أهلها باستضافتهم لأربع ليال و أكرموهم أيما إكرام فهذا إمام المسجد وأميرها مولاي علاهم يستقبلانه و يجلسانه إلى طعام عندهم[2] كما ذكر كرم أمير تيماسين وحسن ضيافته مع الإشارة إلى أهل تقرت الذين كانوا يترددون عليهم باستمرار لتزويدهم بما يحتاجونه من مأكل ومشرب وقد وصفهم الرحالة بالتواضع وحسن الخلق في قوله: " وهم أهل يتسمون بالتواضع والمنية الصالحة والأخلاق الحسنة "وقد حصل أن أستضيف العياشي مع بعض الحجاج في منزل عبد الكريم المتواتي الذي أكرمهم بالقدر الذي استطاع[3]، وفي طريق عودته عند نزوله بزاوية عبد الله بن طمطم – أوغرت – يقول عن كرم أحد أهلها :"...وقد أثنى أصحابنا عنه كثيرا وهو من أهل الخير والكرم والدين يطعم الموارديين إليه في بلاد كاد الطعام أن يكون دواءا ..." [4]، وحتى الرحالة الأجانب تحدثوا عن هذا المظهر من خلال رحلاتهم للجزائر على أنه مظهر إيجابي يتحلى به المجتمع الجزائري الذي يبدو غير مألوف للفرنسيين لأن المجتمع الأوروبي مجتمع يقدس الذات قبل كل شيء مثل الرحالة " كلاما قرون " يشير إلى الكرم الجزائري على أنه كرم فخم عظيم وإن كان بسيط فالعظمة تكمن في سلوكيات الجزائريين فيقول : " كرمهم يمتاز بنوع من الفخامة والعظمة وهذا يظهر من ملامح وجوههم المعبرة عن الوقار والترحيب " وهذه الصفة من أهم الخصال التي ميزت أهالي إيالة الجزائر عن باقي الإيالات العثمانية فعرفت بطيب أهلها[5] ومن جانب آخر فقد أطنب أبو العباس في الحديث عن أهالي مناطق الجنوب الجزائري فذكر حفاوتهم للاستقبال المرحب و جودهم وكرمهم فقال: " ومررنا قرب المزاول بقرى بشار

---

[1]– إسماعيل العربي ، مرجع سابق ، ص 34

[2]– أبو سالم العياشي ، المرحلة العياشية ، ج1 ، مصدر سابق ، ص 117 ،ص 118

[3]– المصدر نفسه ،ص 119 ،ص 120

[4]– المصدر نفسه، ص 80

[5]– **أحسن دواس**، صورة المجتمع الصحراوي في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيو ثقافية مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المقارب قسم الآداب واللغات جامعة قسنطينة الجزائر 2008/2007 ص 13،14 .
أبو العباس الهلالي ،مصدر سابق ص 145، 146 ،147.

فتلقانا أهلها بالبشاشة وقرونا تمرا كثيرا جزاهم الله خيرا " كما أشار إلى قرية واحدة واصفا أهلها بالكرم فيقول : " ... فأقبلوا يهرعون لملاقاة الحجيج ولهم من شدة الفرح إيفاض وضجيج لقونا بالترحاب وأظهروا البشاشة[1]

02- احترام الأجانب وحسن الضيافة:

حسن الضيافة عند سكان الصحراء من العادات البارزة في حياتهم وتقديم الضيافة للغريب تأخذ لدى المجتمع البدوي الصحراوي بعدا عقائديا وتكتسيها هالة من القداسة يتسابق إليها الوجهاء والأثرياء والفقراء على حد سواء فإكرام الضيف من العادات المتوارثة والمهمة وهنا يقول فرج محمود في دراسته حول منطقة توات حتى انه كانت من المهام الموكلة للوقاف التعرف على الغرباء والأجانب بالبلدة ومصاحبتهم إلى دار الضيافة ثم إخطار الأسرة التي عليها تقديم الطعام للضيف لمده ثلاثة أيام[2] ومن نماذج الإحترام والقربى التي دأب عليها سكان قرى الجنوب هي خروج أهلها لملاقاة الحجاج الواقعة على الطريق بين توزر و المزاب لاستقبالهم[3]، وخاصة إن كان أهل الفضل والعلم ولعل هذا الأمر من العوامل الرئيسية لتوافد العلماء وهو ما أشارت إليه كتب الرحلات التي لا تخلو من عبارات الثناء والعرفان لأهل تلك البلاد وفي هذا الصدد نورد العياشي عند نزوله بقرية "والا " القريبة من القليعة متحدثا عن أحد الصلحاء فيقول: و العرب يحترمون النازل بحرمته ويتأثر من يتعدى عليهم من ذلك "[4]

وهذا ما أكده حسن الوزان في قوله : "فكثيرا منهم يتقاتلون فيما بينهم ويتطاحنون إلى أنهم لا يمسون الغرباء "[5] وأشار إليه مارمول بأن الغرباء المقيمين ينعمون بالأمن و الاطمئنان رغم

---

[1]- أبو العباس الهلالي، مصدر سابق، ص 145، 146 ،147.،

[2]- فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ديوان المطبوعات الجزائرية الجزائر، 1977 ،ص 36

[3]- احمد بو سعيد ، ركب الحج الجزائري من خلال كتب الرحلات الحجازية.،اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث،جامعة احمد دراية ادرلر،الجزائر،2018،2017،ص208.

[4]- أبو سالم العياشي ، مصدر سابق ، ص 108 .

[5]- الحسن الوزان ،مصدر سابق، ص 134.

الفتن التي كانت تندلع نيرانها بين الحين والحين بسبب الحسد والنزاعات بين القواد والحكام[1] وعند نزول العياشي والحجاج بزريبة حامد استقبلهم سيدي عبد الله بن محمد بن مبارك ومعه جماعة من إخوانه وأبناء عمومهم فقال :" كانوا يترقبون قدومنا منذ أيام فلما رأوا أعلام المركب تخفق جاؤوا وباتوا معنا و أضافوانا ضيافة حسنة " ثم يقولون عنهم : " إنهم أهل خير وبركة "[2] ويبدو أن الرحالة المغاربة قد اشتركوا معي العياشي في الرأي فنجد الحضيكي يصف أهل المزاب حين خرجوا لاستقبالهم فقال : " خرج أهل البلد جلهم للقاء الركب بالرحب والتحبب .... ونزلوا يلعبون بالخيل والبغال في زينتهم لإظهار السرور للترفيه عن الحجاج " [3] وفي نفس السياق ذكر الناصري عند عودتهم من الحج عن كرم أهل الأغواط فقال :" خرجوا إليهم كبارا وصغارا وأظهروا المرح والسرور "[4] وأشار أيضا إلى أهل عين ماضي وكيف تلقو الركب بالفرح والسرور واللعب بالخيل والبارود وقد ذكر أن ديارهم ومياههم كلها محبوسة على الذكور دون الإناث ولا يجوز للغريب عنهم أن يمتلك ملكا عندهم إلا بالكراء[5] و من جهة أخرى يذكر الوزان كرم أهل وادي ريغ وكيف يستقبلون الغرباء في بيوتهم بالمجان حيث يقول :" ومن عاداتهم أنهم يقدمون الهدايا للغرباء ... وهذا من حسن طيبتهم وسلامة قلوبهم "[6] كما تحدث ابن زاكور عن المجتمع الجزائري قائلا :" قمت ونهلت من حياض علومهم وأخلاقهم حتى تضلعت وكرعت في أنهار بلاغتهم حتى رويت وهصرت من أفنان براعتهم ما هويت ونسيت ببشرهم وتأنيسهم ما عنيت من رهج القفار وقضيته في لجج البحار :

---

[1]– مارمول كربغال ،مصدر سابق ج3، ص 264.

[2]– أبو سالم العياشي ، مصدر سابق ، ج 2 ،ص 537–538 .

[3]– عبد الله الحضيكي ،مصدر سابق ،ص 76.

[4]– عبد السلام الناصري، مصدر سابق، ص 206.

[5]– **عمر بن قايد** ، منطقة الأغواط وما جاورها من خلال رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري ..... ، قراءة اجتماعية ثقافية ، مجله المغاربة للدراسة التاريخية والاجتماعية ، مج 9 ، ع 1 ، جوان 2018 ، ص 216 .

[6]– الحسن الوزان ، مصدر سابق ، ص 203 .

ولو لم يزد إحسانهم وجميلهم على البر من أهالي ما حسبتهم أهالي[1]

3-اللصوصية :

لقد شغلت الرحالة المغاربة عموما حالة الامن و اللصوصية التي كانوا يتعرضون إليها طول الطريق في الغالب[2] من بينهم العياشي الذي أطنب الحديث عنها في رحلته مع ذكر حدوث هذه الظاهرة أو انعدامها في المناطق التي زارها مثل إغارة إحدى قبائل الأعراب في الطريق بين مزاب و سيدي عقبة حيث قال : " وجدنا في المنتصف نزلتين لأولاد صولة قد نزلوه ذلك اليوم وكانوا قد أغاروا على نزلة لبعض الأشراف"[3] وهذا ما ذهب إليه الرحالة المصعبي انه من أشهر القبائل المعتدية على ركب الحجيج قبيلة أولاد بوعكاز و أولاد صولة بين الصحراء و السهوب الشرقية التي كانت تعتدي على الحجاج بغرض سلبهم أموالهم وأملاكهم و رواحلهم[4] كما نجد اهتمام الرحالة أبو عباس بظاهرة الأمن في المناطق الصحراوية التي يمر عليها مرور الكرام حيث شغلت حيزا كبيرا من نصوصه ليتحدث عن كل منطقه مر بها بوجوده أو عدمه وهنا يشترك مع العياشي في وصفهم الدقيق لهذه الظاهرة مثل السرقة التي شاعت في عدة مناطق فقال حين وصوله إلى فجيج " وسرقت لبعض أهل الركب في تلك الليلة أمتعة وهي أول سرقة ظهرت في الركب نسأل الله العافية ... "[5] وقال أيضا :" كان في الركب رجل يحرس رحله بالليل فكأنه غلبته عيناه فاخذ

---

[1]- **ابن زاكور** ، نشر أزاهير البستان فيمن أجاز بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر 2018 ص41.

[2]- الحسين الورتلاني ، مصدر السابق، ص 174.

[3]- **إبراهيم دحمان بن أبي محمد السجني المصعبي**، رحلة المصعبي، تح : يحيى بن بهون ، حاج أمحمد ، العالمية للخدمات والنشر ، غرداية ، 2006 ، ج 1 ، ص 68

[4]- **رشيد حفيان ،الطرق والقوافل التجارية في الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين (11-12 هـ / 17-18 مـ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث ، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة ، الجزائر 2013 2014 ، ص 43.**

[5]- أبو العباس الهلالي، مصدر سابق ، ص 147 162

فاخذ السارق مدفعا من يده وسالبه برنسه وهرب فتبعوه فرمى لهم البرنس ورماهم برصاصه فلم يصب أحد..."[1]

كما ذكر ذهاب رجلان يستقيان الماء من الوادي وكان قريبا من منزل الركب فسلبها الأعراب ثيابهما و نجو بها في الغلس[2] وفي واقعة أخرى يخبر العياشي عن تخوف الحجاج الدائمين من غاراتهم المفاجئة والحظر الذي يداهمهم على طول الطريق حيث يقول في هذا الصدد :" حصلت للركب روعه بخبر أخبروه أن قوما من العرب يريدون الإغارة فشمر الناس للقتال وأخرجوا عدتهم للعرب و هيئوا له آلة حربهم فلم يلقوا كيدا وتبينوا بعد ذلك أن الخبر لا أصل له "[3] ونفس الأمر أشار إليه الناصري في مدينة بسكرة حيث قال عنها :" أنها أكثر البلاد سرقة "[4]

وعن مدينة تاجورة قال عنها مارمول : إن أهلها شداد غلاب اللصوصية حرفتهم الأساسية يسكنون في أكواخ تحت النخيل....."[5] وعن أهل بوسمغون قال عنهم الناصرين أنهم ضعفاء فقراء تنهبهم أعراب حميان وغيرهم ويأخذون منهم العطاء ويخزنونه لديهم[6] وقد عاش الركب هناك حالة من الخوف وعدم الأمن من أعرابي أولاد بوعكاز حتى أن أهل البلاد لم يستطيعوا محاربتهم " وهم الذين لا يقربهم قرار" تحذيرهم من غاراتهم على إبل الركب[7] كما لا يمكن القول أن جميع الأعراب هم لصوص فيمكن القول ينطبق على أغلبيتهم فقد مدح العياشي بعضهم في قوله : " إنهم أهل عافيه لا اذاية فيهم " و هذا ينفي انه ليس جميع الأعراب بلصوص[8] ويبدو واضحا انه انه تدخلت عدة أسباب في تفشي ظاهرة النهب والسلب كالبؤس الشديد والذي تعود أسبابه إلى

---

[1]– المصدر نفسه ،ص 163

[2]– نفسه، ص 169

[3]– أبو سالم العياشي ، مصدر سابق ، ص 112.

[4]– عبد السلام الناصري، مصدر سابق، ص 220.

[5]– مارمول كربغال ، مصدر سابق ، ص 128.

[6]– عبد السلام الناصري، مصدر سابق، ص 193.

[7]– أبو سالم العياشي ، ماء الموائد ، مصدر سابق ، ص 64.

[8]– أبو سالم العياشي ، الرحلة العياشية ،ج1، مصدر سابق ، ص 112.

قسوة ظروف المنطقة اقتصاديا كنقص الماء الذي يترتب عنه نقص الكلأ إلى جانب سطو القبائل الرحل على الأموال وأملاك الناس وهذا إن دل على شيء يدل على الامن في العديد من مناطق الجنوب الجزائري خلال مرحلة الحكم العثماني كما يدل هذا على غياب نفوذ السلطة الحاكمة في فرض وجودها لأجل ضبطها وسلامه المسالك[1].

المطلب الثاني: عادات وتقاليد سكان الجنوب

لقد اهتم الرحالة بعادات سكان الجنوب التي وصفوها هنا في كتاباتهم مثل الاحتفال بليلة العيد عند أهل بوسمغون يخرجون صبيحة يوم العيد قبل طلوع الفجر للقيام بصلاة الجمعة وبعد انتهاء ذلك يخرجون كبار وصغار حاملين في أيديهم أسلحة يقول العياشي في هذا الصدد:" لا يخرج احد بغير سلاح صغيرا أو كبيرا " ثم يبدا كل واحد منهم يتقاذفون بالأحجار المتخذين منها غرضا للرمي بالبنادق وما استغربته انشغال غالبية الصلاة والخطبة "[2]

ومن الملاحظات التي اوردها لنا هذا الرحالة و نالت استغرابه عادة أهل بسكرة لدى عودتهم من الحج وهي الكتابة على أسوار المسجد عقبة بن نافع الفهري المشهور بالمنطقة أنه من يدخل ويزور المسجد فإنه يكتب اسمه على حيطان المسجد وأساطينه وكانت الغاية من ذلك هي التبرك بزيارته وهنا نورد قول العياشي :" أنهم اتخذوا من ذلك دينا وعادة مستمرة "[3] وقال أيضا انه لهم عادة أخرى في نفس المسجد الذي يحوي في أعلاه عمودا فزعم الحجاج أنه من تمسك بذلك العمود وحركه ثم قال أقسمت عليك أيتها المئذنة بحق سيدي عقبة إلا ما تحركت واهتزت اي تصدر صوتا استجابة على المنادي[4] وهذا الأمر استغربه كل من العياشي والناصري وأثار اهتمامهم ليكشف لنا العياشي حقيقة ذلك ان سبب تحرك المئذنة ليس له علاقة بالولي الصالح وإنما يرجع لسبب الهندسي في عمارة المسجد في قوله :" وقد طلعت اليها ورأيت ذلك وليس كما

---

[1]– فاطمة بالهواري ، مرجع سابق ، ص64 .

[2]– أبو سالم العياشي ، ماء الموائد ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 523

[3]– الحسين الورتلاني ، مصدر السابق، ص 135.

[4]– أبو سالم العياشي ، مصدر سابق ، ص 539.

زعموا وإنما من إتقان البناء وفرط طوله فاذا صادم بقوه ظهر فيه شبه اهتزاز وذلك يقع في كل بناء"[1]

ومن الأمور التي استغربها العياشي في زيارته لسيدي محمد بن بوعلي رجل من الصالحين سمع من بعض الحجاج ممن زاره قال لهم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له :" إن النار لا تمس من رآك " . وزعموا أنه قال من رأى من رآك مراتبه متعددة وهذا الكلام قال عنه العياشي انه يحتاج إلى تأويل ألا ينبغي أن يرمي به جزافا فحرص المرء على رؤية الأولياء الصالحين والتبرك بهم[2]وما عجب له أيضا هو نزول العقارب والضفادع مع ماء المطر كما يظن بعض الناس فيقول :" أرعدت السماء وأبرقت وأرخت عزاليها بماء غزير..... وسخنت الأرض فأخرجت من مخبأها ما ملأ الأرض حتى لا تكاد ترمي ببصرك إلى ناحية إلا وقعت على عقرب وأخذ الناس يقتلونها فمنهم من قتل[3]

وفي مدينة ورقلة أثار انتباه الرحالة مشهد الثياب الملقاة أمام المدينة في قوله:" وفي باب المدينة التي نزلنا من قبله خرق كثيرة من الصفوف والكتاب أكثرها صحيحة لا قطع فيها تصلح للانتفاع وليس مثلها مما يرمي به في العادة كونها لا تزال صالحة للاستعمال وكثيرة العدد " إلى أن سمع بأنها ترجع للموتى وان هذه العادة المتوارثة عند أهل البلد، بحيث من مات ألقيت ثيابه التي عليه عند الموت هناك ولا تمس[4] ، وفي موضع اخر وصف لنا العياشي ظاهره شدت انتباهه عند أهل ورقلة حين دخوله المسجد وجد أناس يقيمون الصلاة بغير وضوء مع انهم بدون أعذار، حيث يقول :"دخل الناس للصلاة و ابتدروا زوايا المسجد يتيممون ....فقلت عجبني هؤلاء كلهم من ذوي الاعذار"[5]، ومن الممارسات المذمومة التي جاءت في حديث الناصري عن قبيلة

---

[1]– المصدر نفسه ،ص 539 – 540 .

[2]– نفسه ص 541

[3]– نفسه ص 547

[4]– مولاي بالحميسي، مرجع سابق، ص 70.

[5]– أبو سالم العياشي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 118.

ابن المزاب كقوله انهم ينكرون رؤية الله تعالى في الأخرة وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم محلينا الربا في البيوع غير رافعين أيديهم مع تكبيرة الإحرام جامعين في طهارتهم بين الماء والتراب معتقدين أن الصوم في السفر غير مجزئ وقال عن أهل وركلا أنهم روافض لهم حرمة معلومة بها ومسجد المخصوص[1] ، و بخصوص نساء المجتمع الصحراوي قال عنهم من الحضيكي في زيارته لعين ماضي أنهن يراعين بالحسن والجمال وقال بأنهن يفتنن من رمقهن ويخرجن للتسوق مع الحاج في منزله متبرجات يتزين لا حياء معهم ولا دين متغلبات عليهم وحكي أنهن لا يصلين أصلا ولا يغتسلن من الخيط ولا من الجنابة محافظة من الماء مع انهم ادعوا الشرف[2]، وأضاف الناصيري عن ذلك بخصوص الحجاب بأنهم ما رأوا في هذه البلاد مثلهن في تركه وإن الرجل وزوجته وابنته يسوقون المركب باديات مزينات مع ما وسمنا به من الحسن والبديع[3]، ومع ذلك إعتيادهم الطهارة الترابية من غير عذر حتى من وسم بالفقه منهم تراه يضرب الارض عند كل صلاه اتكلوا في ذلك_على زعمهم ان ماءهم يضر بالبصر وقال بانه توضؤوا منه مرارا ولم يروا منه من الضرر فان كان ذلك يحدث بكثره الاستعمال او في فصل دون آخر يتحقق الضرر وتعذر الوضوء بغيره من مياه الابار فلا شك ان ذلك يتيح الانتقال لتيمم[4].

المطلب الثالث: الوضع الصحي السائد في الصحراء

عرفت المنطقة خلال القرن 17م العديد من الأمراض والأوبئة التي مست جميع جوانب المجتمع الجزائري من بينها الطاعون الذي يعتبر من اخطر الأمراض عانت منه مختلف الفئات الاجتماعية في مختلف الفترات التاريخية وهذا الوزان في قوله :" فهو يظهر كل عشر سنوات أو 15 سنة او 25 سنه ويقول عندما يأتي يذهب العديد من الناس[5] ويرجع أول

[1]– عبد السالم الناصري ، مصدر سابق ، ص 206–207.

[2]– عبد الله الحضيكي ، مصدر سابق ،ص84.

[3]– عبد السالم الناصري ، مصدر سابق ، ص 204.

[4]– نفسه ،ص205.

[5]– الحسن الوزان ،وصف إفريقيا ،المصدر السابق ،ج1، ص 85.

تاريخ ظهوره بالجزائر عموما الى 1514 م واستمر في الظهور إلى غاية عام 1822 م[1] كما أكد الأسرى الأمريكان على انتشار وباء الطاعون بمدينة الجزائر 1787م وانه الأكثر ضررا والذي أدى بحياتي عدد كبير من السكان فكان هذا المرض خبيثا جدا بحيث امتلأت الشوارع بجده الموتى وأصيب الأحياء بالعدوى[2] و أما السنة التي زار فيها العياشي المنطقة فكان الوباء قادما من تونس وامتد وصوله إلى الجزائر عامة بصفة خاصة إلى بايلك الشرق و في 1667 م ، عاد الطعون من الطريق نفسه لتصبح الجزائر عامه بؤره انتشار هذا الوباء في كامل أنحاء وخاصة في الجنوب كبسكرة ووادي ريع [3] ولم يكن هذا الوباء وليد البيئه الجزائريه بل غريبا عنها فقد اجتاحها من خلال الحركة السكانية عن طريق البر أو سفن البحر من طرف الحجاج أو التجاري وكثير ما كان مصدره من جهة المشرق إذ تعد بلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية ومصر وليبيا موطنا لهذا المرض[4] حيث يقول الأسرى الأمريكان في هذا الجانب: أن سكان مدينة الجزائر هم مزيج من أمم مختلف مثل الأهالي معرب الأندلس المطرودين ، واليهود والانكشاريين وعدد كبير من الأتراك[5] وأثناء عودة العياشي من الحج سنة 1660 في طريقه إلى المغرب الأقصى مرة بمدينة بسكرة أخبارنا عن وجود الوباء في حديثه عن شيخ معلمه ابو مهدي، الثعالبي الذي لم يتسنى له لقاء لأنه توفي بالوباء وقال انه كان مفرطا مات به في بسكرة

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي في أواخر العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص 125.

[2]– **جيمس ولسون ستيفن** ، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785 – 1798 م تر :علي تابليت ،دار ثالة ،الجزائر، د.ط ، 2007 ،ص211.

مصطفى خياطي،الأوبئة و المجاعات في الجزائر،تر:يوسف وهبه حابت،منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال،الرويبة،د.ط، ص 39.

[3]– مصطفى خياطي،الأوبئة و المجاعات في الجزائر،تر:يوسف وهبه حابت،منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال،الرويبة،د.ط، ص 39.

[4]– **محمد المشهداني و سلوان رشيد** ، اوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 –1830 م ، **مجله الدراسات التاريخية والحضارية ، ع 16 ، نيسان 2013 ، ص 434 .**

[5]– جيمس ولسون ستيفن ، المصدر السابق ، ص 154.

على ما يقال نحو سبعين ألف نفس[1] وعند نزوله بسيدي عقبة تحقق الوباء في البلاد التي في اطرافه وفي بسكرة فلم يدخل الرحالة لزيارته وباتوا بينه وبين بسكره[2] وقد أشار العياشي في موضع آخر لتعرض المنطقة إلى نفس الوباء قبل سنتين بذكر وفاة إحدى الشخصيات العلمية البارزة في المنطقة فيقول : " لقد لقيت بها سنة تسع وخمسين رجلا من الصالحين ..... واسمه سيدي بوطيب نصير ..... ولما رجعت من الحجاز سنة تسع وستين وجدته قد توفي بالوباء الواقع تلك السنة و لما دخل مدينة عقبه وجد حومتها خاليه ومساجدها ظافرة وهذا دلالة على انتشار الوباء و تخوف الناس منه[3] كما اخبرنا عن وجود الوباء ومخلفاته وكيف جعلها خرابا واصفا ذلك في قوله:" ... ثم نزل عليهم الوباء ولم يبقى فيها ألا الحثالة من الناس"[4] ويضيف العياشي على هذا لدى عودته من مكة المكرمة ونزوله بزريبة حامد أين ساد الخلاف بين أهلها حول الاحتراز من العدوى والابتعاد عن الشخص المريض بوباء الطاعون او يتركه للأقدار فيقول في ذلك:" وجدناهم متحسرين أمرهم لطرق الوباء في نواحيها و تخوفوا ايهما في بلدهم وعزموا على الفرار..... وسألوا هل يصوم لهم ذلك قبل وصوله إليهم أولا..... ورخصت لهم في الخروج"[5] الذكر العياشي والخطوات الوقائية للاعتراز من الوباء في مدينة الاغواط وذلك بتشديد الحراسة على المدينة ومراقبة الوافدين عليها مما يقيها من الأمراض المختلفة إذ لا يسمح بدخول اي غريب يشكك في إصابته بالوباء وهذا ما حدث لهم عند نزولهم بالمدينه فقد حصل ان طلبت قافله من الأعراب اخبروا اهلها بمنع الركب من دخول المدينة بسبب وجود الوباء بينهم

وجاء ذلك في قوله:".... فلم يترك أحدا يدخل إليهم ولم يخرج أحد منهم للركب..... وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل حتى لا يلمس

---

[1]– أبو سالم العياشي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 521.

[2]– نفسه ، ص 593.

[3]– مولاي بالخميسي ،الجزائر من خلال رحلات المغاربة، المرجع السابق،ص102.

[4]– الحسين الورتلاني، المصدر السابق، ص 118.

[5]– أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 522.

شيئا من أيدينا" وهذا الحديث يدل على أن السكان اتخذوا الإجراءات الوقائية لتفادي تفشي الوباء بينهم[1] وقد تحدث العديد من الرحالة له عن تدهور الأوضاع العامة للجزائر خلال القرن الثامن عشر 18 م وذلك نتيجة تصرف الحكام وانعدام الأمن وشيوع الاضطرابات وظهور الأمراض الفتاكة والآفات الطبيعية المدمرة[2] وإلى جانب الأوبئة ساهمت العديد من الجوائح في العهد العثماني كالجفاف والمجاعات الكبيرة والجراد في تدهور المستوى المعيشي للمجتمع جزائري الجزائري[3] ونظرا لخصائص الموقع الصحراوي الذي يتميز بقلة الأمطار الموسمية[4] فإن الجفاف كان أحد الأسباب الأساسية التي ساهمت في قلة الإنتاج الزراعي لأن قلة الماء تتسبب في تقلص كمي ات في هذه الأخيرة تنعكس أيضا على صحة الأشخاص سلبا ومنها المجاعات مما يؤدي إلى انهيارات بشرية ديموغرافية مأسوية[5] وقد عرفت البلاد وانتشار ظاهرتي الجفاف والجراد في العهد العثماني بسبب حدوث مجاعات اثر سنوات الجفاف وزحف الجراد الذي نتج عن ظهور الأوبئة والأمراض و أدى الى هلاك السكان [6]وهذا ما أشار إليه حمدان خوجة بقوله: وفي سنة 1800 م أصيبت الجزائر بمجاعة كبرى وقعت الحاجة إلى الأقوات فأمر الداي التموين للبلاد بالذهاب الى موانع البحر الأسود لشراء القمح كما شهدت بدايات القرن التاسع عشر19م موجه من فترات المجاعات والقحط وكثيرا ما ترتب عنها الفقر والموت وقله الموارد الغذائية وارتفاع أسعارها[7] .

---

[1]– أبو سالم العياشي ، المصدر السابق ، ج2 ،ص522.

[2]– ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ،ص 396.

[3]– ابو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي، ص 267.

[4]– **جعفري مبارك** ،للحياة العلمية في اقليم تواتي وانعكاساتها على جنوب الصحراء خلال القرن 12 هـ /18م،ص20

[5]– محمد بن جبور ،الوضع الصحي لسكان الجزائر في العهد العثماني، المجلة المغاربية ،للدراسات التاريخية والاجتماعية ،قسم التاريخ، جامعة معسكر،ع 2009/7م، ص 64.

[6]– ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 562.

[7]– الحاج احمد الشريف الزهار ،مذكرات نقيب ،أشراف الجزائر، تح : احمد توفيق المدني 1732–1830،ص117.

وقد تزامنت رحلة العياشي مع موسم القحط في تلك السنة والذي ادى الى حدوث مجاعة كبيرة شكلت كارثة حقيقية في البلاد ووصفه الرحالة قائلا لدرجه ان البلد كاد الطعام ان يكون فيه دواء[1] وقد كان الجفاف هو القفص له تأثيرا كبيرا على سكان البدو إذ كان اثر الجوع عباد عليهم كما وصفه الرحالة وأنه شامل معظم المناطق الصحراوية ولا نكاد يجد موضعا يخلو من آثار هذا الوضع المزري فكثير من القرى آثرت الرحيل على موطنها الذي لم يعد له سبيل للحياة وهذا ما ذكره العياشي عند مروره على إحدى قرى توات بحيث وجدها خاوية على عروشها ليس بها إلا رجلان كان في غاية ما يكون من الضعف الناتج عن الجوع[2] كما وصف إحدى القبائل من أهل سيدي مخلوف التي كانت تستلطف العيش " وقد بلغ الجهد منهم كل مبلغ " ومن لطف الله بهم من جهدت فراس الرحالة التي أصابها العلل ولم تقدر على مواصله السير فوهبها لهم الرحالة الانتفاع بلحمها[3] وقد نقل لنا العياشي صور حية عن وضع الأهالي في تلك الفترة من معاناة الأقاليم الصحراوية انا ذاك بسبب المجاعة الكبرى والجراد[4] حتى وصل الأمر الى قيام الناس الذين لم يجدوا ما يبيعونه سوى الملح يبادلونه بالطعام الذي لا يكفي حتى لشراء المادة الحبوب وذلك راجع لقلة الإنتاج الزراعي بسبب الجفاف[5] وأكد ديبوتنفيل على فساد الجهاز التركي بالجزائر وذلك من خلال النقص والتدهور الكبير في المنتجات الجزائرية بسبب إهمال الأتراك لهذا الجانب وانشغالهم بحياة اللهوي والمراحل والحياة الخاصة فأصبحت بذلك الجزائر تعاني من الفقر والشقاء وتدهور وضعيه السكان[6] .

---

[1]– أبو سالم العياشي ، المصدر السابق ، ج2، ص.80

[2]– أبو سالم العياشي ، المصدر السابق ، ج1، ص127

[3]– أبو سالم العياشي ، المصدر السابق ، ج2 ،ص 547.

[4]– العنتري ، مجاعات قسنطينة، تر : رابح بونار ، (ش.و.ن.ت) ،د.ط ، ص 45 ، 46.

[5]– أبو سالم العياشي ، المصدر السابق ، ص 546.

[6]– فريد بنور، المرجع السابق، ص 134.

المبحث الرابع : الأوضاع الثقافية

المطلب الأول: مؤسسات الثقافة و دورها التعليمي

لقد ظهر تميز الجزائريين عموما في مجال العمارة في المساكن وخاصة المساجد التي كانت أولى اهتماماتهم[1] وقد ذكر العياشي العديد من المساجد والجوامع التي نالت إعجابهم من حيث تصاميمها المعمارية والتي تميزت في معظمها بمناراتها العالية[2] وعند زيارة هذا الرحالة مدينة ورقلة أشار إلى كثرة مساجدها وتعددها و أنها تتوزع ما بين المصليات والجوامع في المسجد الكبير المعروف بجامع المالكي وهو الذي دخله العياشي لأداء صلاة الجمعة واطلع على مئذنته فيقول ثم بعد الصلاة طلعنا مئذنة وهي مشرفة على المدينة كلها[3] وهذا يدل على ارتفاع مآذن المساجد في تلك الفترة كما نجد إعجابه بجامع الاباضية كثيرا من خلال قوله دخلت المسجد لأداء صلاة المغرب وهو مسجد متقن الصنعة مجصص الأرض والحيطان على بابه أماكن وفي الجوانب المعدة للوضوء وقضاء الحاجة ومكان لتسخين الماء فأعجبني غاية [4] في تماسين تقرت وصف العياشي أحد مساجدها في قوله فيه صومعة وثيقة البناء طويلة جدا فيها نحو مائة درجة على بابها اسم صانعها وهو المعلم أحمد بن محمد الفاسي[5] ويتبع وصف رحلتنا قول الورثيلاني ومع دخولنا المسجد الجامع الأكبر الواسع البنيان الشامخ فلم يوجد فيما علمت أحسن منه ولا أوسع منه ولا أعظم في المساجد المعلومة[6] أما مسجد سيدي عقبة فوصفه العياشي بالعجيب وهو

---

[1] – Thomas show voyage dans la région d'Alger au désert à Sion géographique de cet état traduis diacre Macao édition marlin Paris 1751 page 79.

[2]– ابن الدين الأغواطي ، رحلة الاغواطي ،المصدر السابق، ص 101

[3]– ابو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج1 ، المصدر السابق، ص 115

[4]– المصدر نفسه،116.

[5]–المصدر نفسه،114.

[6]– الحسين الورتلاني، نزرهة الأنظار، المصدر السابق، ص 117

ما توافق أيضا مع و صف الورتيلاني اذ يقول مسجد عجيب حوله قرية كبيرة في وسط هذا البسيط وفي مسجده مئذنة كبيرة متقنه البناء وفي أعلاه عمود[1] .

وقد زار المسجد أبا الفضل أيضا فوصفه قائلا: ..... دخلنا المسجد وطلعنا مئذنته وهي في غاية الإتقان والطولي والسعة تقدر دابة على الصعود عليها بحملها وإدراجها مائة درجة و أربعة و عشرون والمسجد في غاية السعة وإتقان في البناء.....[2] ، كما جاء في وصف الحسن الوزان إحدى مساجد تقرت في الجنوب الصحراوي فقال عنها:"" دورها مبنية بالآجر المشوي والنيئ حاشا الجامع فانه وحده مبني بالحجر المنحوت الجميل[3] ،وقد ازدهرت بالصحراء سلسلة من الزوايا وعظم شأنها وزاد نفوذها حتى تحول بعضها إلى مدن مثل عين ماضي وتماسين وطلقة وقد تطرق العياشي إلى ما اشتهر منها مثل زاوية سيدي احمد بن موسى وزاوية سيدي عبد الله بن طمطم وعمر محمد صالح الأنصاري الخزرجى وزاوية الأخضري وكلها دور علمي وتعليمي إشعاع فكري[4] ، كما أنها فضاء واسع تحيط به العديد من المرافق كمساكن الشيخ والمسجد كما قد قد تنظم أيضا غرف للضيافة و ضريح لأحد الأولياء والصالحين[5] مثل زاوية سيدي أحمد بن موسى التي بجانبها ضريحه[6] لأنه يضاف الى الزوايا وأضرحة العلماء والصلحاء مثل عريان الراس وأبي الفضل وأبي خالد والتي أصبحت مزارات[7] وقد ذكر الناصري الملقب بالدرعي أن الركب المغربي لم يسعفه الحال ام يزور قبور الأولياء والصالحين وقال أن أهل العين ماضي

---

[1]– ابو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج1 ، المصدر السابق، ص 115،الحسين الورتلاني، المصدر السابق، ص 104.

[2]– ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج2 ، ، ص539–540.

[3]– ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2 ، دار المغرب الاسلامي ،ط1 ، 1998 ،ص182.

[4]– مولاي بالحميسي، مرجع سابق، ص30.

[5]– **محمد بوركيبة**، الدور الديني والتربوي الزوايا في الجزائر المنطقة الوطني العاشر حول الزوايا ودورها في المحافظة على شخصية الوطنية، إصدار الجمعية الخلدونية 2015 ،ص 50.

[6]– ابو سالم العياشي ،المصدر السابق ، ج2 ، ، ص542.

[7]– مولاي بالحميسي، مرجع سابق، ص30.

ينكرون الزيارات ويقول بأن الترحال لا تشدوا إلى إلا إلى ثلاثة مساجد[1] ، ومن جهة أخرى نلاحظ في زيارة العياشي لزاوية أولاد سيدي ناجي انه وجد على جدرانها اسم مؤسسها سيدي مبارك وقد سميه نسبه إلى جده الأول سيدي ناجي ويستثني من هذا أن المساجد لم تكن تنسب للصلحاء والأتقياء وهو ما يؤكده أبو القاسم سعد الله ان الزوايا كانت تنسب عادة إلى مؤسسه الأول[2]

كما نجد اهتمام الرحالة الحضيكي بهذا الجانب فعند مروره على قرية صغيرة يقال لها النخيلة ذكر بان فيها مسجد معظم ومحترم يرتحل الناس الى زيارته من خلال البلاد البعيدة وكما كان مأوى الصالحين ومجمع الأولياء وتابع كلامه انه على مر على قبر خلوة الشيخ العلامة الهمام سيدي عبد الرحمن الأخضري وانه زاره في قبره[3] ومن الواضح ان المزاد والجوامع التي زارها زارها العياشي انا نشاطها يتوزع على حسب المجموعات الاجتماعية والمذهبية فعند نزوله بورقلة ذكر أنه دخل المسجد لأداء صلاة المغرب وهو خالص بالاباضية ان المسجد مسجدهم يصلون فيه ومعروف بهم كما أشار أيضا لذلك عند دخوله لصلاه الجمعه خاص بالمذهب المالكي واسمه جامع المالكية[4] ، والمعروف باسم عبد القادر الجيلاني وتجتمع فيه جماعة البلد وأهل الرأي[5] بالإضافة إلى ذلك فإننا نلاحظ ان العياشي لم ينظر الى المساجد على أنها مؤسسات تعليمية فحسب بل نجد في الكثير من الأحيان يطلق عليها اسم المسجد أو المصلى او الجامع وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله في الجامع في مفهومه اكبر حجما من المسجد الذي تؤدى فيه صلاة الأوقات أما الأول وتقام فيه صلاة الجمعة والجماعة[6] ومن أمثلة عن زوايا الإطعام التي ذكرها العياشي زاوية سيدي عمر بن صالح التي برزت كمركز ثقافي علمي كبير من كل

---

[1]– بوسليم الصالح ا،لأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية ،**مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية 21 ديسمبر 2015 جامعة الجزائر غرداية ص 272 .**

[2]– ابو القاسم سعد الله ،المصدر السابق ،ج2، ص 245 .

[3]– عبد الله الحضيكي ، مصدر سابق ،ص83-84-85.

[4]– ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج2 ، ، ص144.

[5]–ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ، ص542.

[6]– ابو القاسم سعد الله المصدر السابق ج2، ص 245

الجهات[1]، وقد أشاد العياشي ومن معه بزاوية سيدي عبد الله بن طمطم مشيرا إلى صاحبها في قوله وقد أثنى أصحابنا عنه كثيرا انه من اهل الخير والدين يطعم الواردين إليه.....[2] اما المدارس فقد أشار العياشي إلى أولاد جلال بأولاد جلاب في قوله هي قرية جامعة فيها مدرسه لطلبة المهاجرين[3] ، و قد أعطى لنا الرحالة عن الحياة العلمية والثقافية وحتى المدينة آنذاك والتي كان لها دورا في إيجاد ايجابي في تنشيط الحركة الثقافية ومن خلال نظره العياشي لهذا الجانب يظهر انه كان منحط ومترديا في اغلب المناطق التي مر بها مثل منطقة تاسبت في توات التي وصف الواضح فيها في قوله ولم نلقا احد مما ينتسب إلى ولاية او صلاح ولا من أهل العلم والفلاح وغالبا اهلها عوامل اهل التجاره وسرد الخطيب خطبه عظيمه وعضيه حسنه تلقاها من صحيفة إلا انه أكثر فيها اللحن[4] ونفس الملاحظة للإمام الذي لازمه العياشي مدة إقامته بورقلة قال أنه كان يلحن لحنا فادحا في خطبته للجمعة ويكسر الخطأ ويتردد في القراءه ولا يفهم ما يقرأ حتى وصل الأمر الى تخوف العياشي من الا تصح صلاته معه[5] وبعدها قام العياشي بإرسال أصحابه إلى الإمام ليسأله عن المدعو له في الخطبة فيقول فلما فرغت من الصلاة بعثت إليه احد أصحابنا ليسأل لا اعلم ليسأله عن المهدي المدعو له في الخطبة هو المنتظر ام أحد منتحلين ذلك في ما مضى فلما سأله عن ذلك فإذا هو لا يفقه شيئا من ذلك حيث قال أظنه النبي صلى الله عليه وسلم فينظر انه اخلط بين المهدي المنتظر وابن تومرت والنبي صلى الله عليه وسلم[6] وفي نفس الرأي نجد الرحال الهلالي في وصف أهل عين الماضي أنهم لا يعرفون من النحو شيئا وكذا غيره من العلوم الدالة ولا يرحلون للعلم بل يقنعون بما عندهم وياخذون بعضهم عن بعض ولا

---

[1]– جعفري مبارك ، مرجع سابق ، ص 104.

[2]– ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج2 ، ، ص80.

[3]–المصدر نفسه ، ص545.

[4]– ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج1 ، ، ص79.

[5]– مولاي بالحميسي، مرجع سابق، ص69.

[6]– ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج1 ، ، ص79.

يلازمون قراءة الفقه[1] وقد سئل الرحالة عن حاله القراءة العربية فقيل له بأنهم لا يجدون من يقيم لهم هناك يعلمهم ولا يقدرون على السفر للتعلم واخباره كذلك انهم لا احباش عندهم انما يقرؤون لله تعالى فقال وما أحسن هذا المقصد منهم لو توفر شرط الإقراء وبالجملة فهم خير من كثير من أهل هذه النواحي[2] ولاحظوا ان هذا الوضع قد انتشر في البوادي وذلك راجع الى قلة المؤسسات التي تعتني بالجانب العلمي والثقافي مقارنة بالمدن التي عرفت نشاط علمي اكثر فعالية.

وهذا ما جاء في حديث الورتلاني عن مظاهر الجهل الذي حل ببعض المناطق مثل مساجد طولقة ببسكرة قال عنها لما دخلت مسجدها لم أجد قارئا ولا مدرسا سوى رجل واحد منهم يقرأ ألواحه وهو ملقى إمامه يقرأ على غير أدب والاستقامة وقد وردنا عمارتها بالعلم والعمل وتدريس العلمي وذكر الله اناء الليل وأطراف النهار في ذلك المسجد المشيد[3]

المطلب الثاني: التواصل الثقافي بين الرحالة وعلماء الجنوب

اهتم الرحالة بلقاء العلماء والتواصل معهم للتبادل المعرفي بينهم فالعياشي مثلا قد مكث في مدينة توات حوالي 12 يوما تقريبا وذكر لنا جملة من أعلامها ممن التقى بهم منهم الشيخ محمد بن إسماعيل المنساوي القراري 1654 م[4] كما التقى بالشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر الاقوري من أهل اوقرت ومن علماء القرن الحادي عشر حيث هو وصفه قائلا: ..... وله بعض الخبرة بفروع الفقه [5]، وقد أشار العياشي الى اهتمام أهل بلدتهم وفقهائها بالتحصيل والاستشارة ومنهم مفتيها سيدي علي محمد بن إبراهيم بن سيدي علي الأنصاري الذين خرجوا إليه وظلوا يترددون عليه طوال فترة إقامته بتقرت وسألوا في خضم ذلك على مسائل كثيرة وألغاز الحريري، كما استحسنوا قصائد العياشي في الوتريات [6]، ومن المشايخ العلماء أيضا الشيخ

---

[1]–الهلالي السجلماسي ، مصدر سابق ،ص137.

[2]–المرجع نفسه،ص138.

[3]– حسين الورتيلاني ، مصدر سابق ..ص96.

[4]– ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج1 ، ، ص79.

[5]– المرجع نفسه،ص138

[6]– مولاي بالحميسي، مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مرجع سابق، ص91..

الشيخ محمد بن عبد الكريم التواتي التمنطيطي الذي التقى به العياشي في 14 جمادى الثانية سنة 1078 هـ في تقرت قاعدة وادي ريغ وهو احد تلاميذها قال عنه الرحالة""..... قد شد طرفا من الفقه والنحو وله بعض الخبرة بعلم العروض وخرق إجماع متفقهة في البلد سواء....."[1]

ولم يستثني الرحالة الهلالي علماء وفقهاء الجنوب الجزائري والإشارة إلى حالة العلم والعلماء فيها في حديثه عن عين ماضي وقال بأنه سمع بان طلبة العلم بها كثر والفقهاء فيها كثيرون وكلهم خبراء في العلم وكلهم قضاة في القضاء[2] وتبع كلامه أن أهل هذه القرية كثيرا منهم يحفظون القرآن ويقرؤون مختصر الشيخ الخليل ورسالة ابن أبي زيد وصغرى السنوسي وكتاب ابن ابي جمره في الحديث ويسردون تفسير الثعالبي والخازن[3] وفي زيارة الناصري لمدينة سيدي عقبه ذكر بأنه اجتمع بالعالم العلامة سيدي خليفة بن الحسين السزفي عنه عند ما عندما عند ملاقاته للركب قال بأنه أوقف على نظم لأبي المودة الخليل وزاد عليه بعض قيود وتنبيهات وهو نظم سلسله لا باس به غير أن صاحبه متمكن من الصناعة العروضية وإنما النظم عند عنده سجيه وهو زهاء ثمانية آلاف بيت[4].

كما قال الناصري بأنه التقى بسيد إسماعيل ابن عبد الرحمن الحضيكي الأصل الاغواطي وانه زاره بداره واخبره بانه اخذ عن شيخ المنساوي والمجاري وابن علي بن رحال وابن عبد السلام البناني وأبي العباس احمد من مبارك اللمطي وله ممارسه في الفنون العقلية[5] وقد أجاز الشيخ الاغواطي للمؤلف أجازه عامة بشرحها المعتبر حسبي أجازه شيوخها المذكورين وهذا يبين مدى اهتمام علماء الاغواط في تلك الفترة بالعلم والعلماء والتعليم[6] وفي قرية أولاد جلال قال الناصري بأنه تعرض له فقيهم سيدي عبد الباقي بن محمد بن الحاج مع ابن عمه السيد احمد بن ناصر

1- مولاي بالحميسي، مرجع سابق، ص90..

2- الهلالي السجلماسي ، مصدر سابق ،ص137.

3- الهلالي السجلماسي ، مصدر سابق ،ص181.

4- أبي عبد السلام الناصري ، مرجع سابق،ص896.

5- المرجع نفسه،ص206

6- ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج1 ، ، ص118

وولده السيد يوسف في جماعتهم فادخلوه البلد فسبح في مسجدهم الاعظم ودخل مدرستهم وذكر انهم اروه خزانه كتبهم ووقع فيها على انسي المنقطعين للمعاني بن إسماعيل وكتاب محتوى على ثلاثة مائة حديث مرفوعة وحكايات تتضمن من الأخبار دررها ومن الحكم غرارها ومن الحديث عن الخزائن والمدارس التي مر بها فعند زيارته لبعضها قال بان رئيسها الفاضل ابو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن أبي زيان والعلامة النبيه ابو الحسن سيد علي بن محمد بن عبد الله الغاني قد ادخلاه خزانة الكتب ورأى بها من الكتب جملة مرغوبا فيها منبئه باعتناء جامعها ومقتنيها كما وصف العياشي من الكتب التي تحمل الأصول والتفاسير على اختلاف أنواعها مع ذكر صاحب الكتاب[1] وعند نزول العياش بقرية ولا وجد فيها روضة الوالي الصالح سيدي محمد بن موسى سفر من نوازل البرزلي بخط الإمام ابن مرزوق افسد القطر إلى هذه جانبا منه ومعه إجازات لبعض السادة القادرية فيقول تعجبنا من الوصول تلك إلى المدينة والظاهر أن هذه الكتب كانت محفوظة بالمكتبة المنساوية التي ترجع إلى صاحبها سيدي محمد بن إسماعيل القاروري وقال العياشي في ذلك انه خلف كتب كثيرة و أوقف بعضها للروضة الشريفة بالحجاز فيقول:..... وقد اخبرني بنفسه ان كتبه تبلغ تقريبا من الألف و خمس مائة تأليف وهي كتب نفيسة جدا.....[2] ويتضح من خلال ما ورد ذكره من طرف الرحالة ان العلوم تلك الفترة لم تخرج عن العلوم الإسلامية كعلوم اللغة ومن النحو وتفسير وقراءات وحديث وكان التعامل مع هذه العلوم بسيطا ببساطة طبيعية المرحلة فقط سيطر عليهم النقل وتقلص عندهم دور العقل واقتصرت جهود العلماء في أعمال المسابقين فاعتكفوا عليها يشرحونها ويقررون دون تجديد[3]

[1]– الهلالي السجلماسي ، مصدر سابق .ص286.

[2]– ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج1 ، ، ص108.

[3]– ابو القاسم سعد الله ،المصدر السابق ج1 ، ص 19.

المطلب الثالث: الحضور الصوفي وتأثيره على المجتمع الصحراوي

لقد سيطرت عده ظواهر على الحياة الثقافية من أهمية انتشار التصوف و الدروس و شيوع الشروح والحواشي على أعمال المتقدمين والثقافة الموسوعية[1] وتظهر هذه الصفة عند العياشي الذي طغت عليه الصوفية فقد تعرض في رحلته الى الحديث عن معظم الاضرحه والمزارات الواقعة في طريقه إلى الحج كما أورد الكثير من الزيارات للأولياء الصالحين الأحياء منهم والاموات الذين حرص على زيارتهم وهذا ما اكده في قوله وليحرص المرء كل جهدي على القائم ورؤيتهم والتبرك بهم[2] .

وكان تقديس الصلحاء يشمل حتى الأعراب منهم احد الصرحاء مما تؤثر عليهم كرامات يذكر العياشي عنه حتى الأعراب على عتوهم واستنكارهم لا يقربون لأذيته[3] ، ولما نزل العياشي مدينه المنيعة ذكر الشيخ الوالي الصالح سيدي الحاج بوحفص من ذريه سيدي عبد القادر بوسماحة فيقول عنه في هدى وسعه وحسن وتمسك مثابر على فعل الخيرات من جهاد وحد فقد أفنى غالب عمره في التردد إلى الحرمين الشريفين[4] وفي منطقة الزيبان وبعد عودته من الحج مره في طريقه على ضريح سيدي عقبه حيث يقول:..... وأما سيدي عقبة المنسوب إليه القبر فهو عقبة بن عامر التابعي وهو الذي فتح بلاد تونس وبني مدينة القيروان وهذا الضريح وهذه المدينة تقصدها الاركاب للزيارة من كل النواحي افريقية كلها[5] وفي بسكرة زار العياشي الشيخ الصالح الطيب بونصير الذي جمع بين الزهدي والورع[6] ومن الاضرحه التي كانت تزار من طرف الحديد عاده ضريح سيدي عبد الرحمن الاخضري ولهذا الشيخ مؤلف بالسلوك تشابه المباحث كما له مقدمه في الف قه والتي اعتكف علي ها الناس مشرقا و مغربا يقول العياشي دخلنا لزيارته وصلينا

---

[1]–أحمد ساليماني، تاريخ المدن الجزائرية ، مرجع سابق، ص78.

[2]– ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج2 ، ، ص541.

[3]– ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج1 ، ، ص80.

[4]– المصدر نفسه، ص111.

[5]– ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج2 ، ص542.

[6]– حسين الورتيلاني ، مصدر سابق،ص72.

بمسجده[1] كما زار هذا المشهد الحضيكي اثناء رحلتي وهذا ليتب ين في قوله ثم مرضنا في الغد على قبر خلوه الشيخ العلامة الهمام سيدي عبد الرحمن الاخضري وكان هذا الضر يح يزار بحسن النيه جميل الاعتقاد[2].

وقد أشار العياشي إلا أن هذا الضريح من المزارات العظيمة كان يقصده الناس من جميع إنحاء الإفريقية كلها والناس يؤثرون عن ذلك المشهد كرامات عبد الرحمن الاخضري هو من اخبر عن ذلك فسلم له أهل البلد لذلك واشتهر أمره عند الخاص والعام والبدوي والحضري كما قال الناصري خلال زيارته له[3] واكدد عليه الزياني في رحلته الترجمانة الكبرى وقال عنه انه مشهور بتلك البلاد وهو من المزارات العظام ويقصده أهل الوساطة والمزاب[4].

[1]– ابو سالم العياشي المصدر السابق ، ج2 ، ص542.

[2]–الحضيكي ، مصدر سابق،ص 85–86.

[3]– أبي عبد السلام الناصري ، مرجع سابق،ص139.

[4]– **أبي القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى في أرجاء المعمورة برا و بحرا** ، تح: عبد الكريم الجيلاني ، دار المعرفة للنشر ، الرباط د،ط ،1991 ، ص154.

خاتمة الفصل:

نستنتج مما سبق الإشارة إليه في هذا الفصل ما تركه الرحالة من الأخبار حول أوضاع الجنوب الجزائري بان الحكم العثماني في الأقاليم الصحراوية لم يكن محدد المعالم او ثابتا لانه تميز بمظهرين الأول هو الحملات التي شنها الأتراك العثمانيين لإخضاع القبائل المتمردة والثاني تمثل في التبادل التجاري بين الطرفين أما لاقتصاد فكان قائما على الفلاحة التي عرفت تنوعا في المحاصيل رغم المشاكل التي كان يعانيها الفلاح إلا أنها عرفت تجارة متنوعة ومزدهرة سواء على المستوى الداخلي او الخارجي إلى جانب هذا نجد الحالة التي الة اليها المجتمع نتيجة الأحوال الصحية المتدهورة بسبب انتشار الأمراض والأوبئة اخطرها الطاعون بالإضافة إلى القحط والجفاف الذي عانت منه المنطقة مما اثر سلبا على صحة المجتمع الصحراوي وكذلك هو حال الحياة الثقافية التي وصفها الرحالة بالضعف مع وجود حركة نشيطة بالمدن على غير القرى إلا أنهم تميزوا وبرعوا في الفن المعماري، كما عرفت المنطقة آنذاك ظهور الطرق الصوفية والزوايا الذي فرضت أفكارها على المجتمع واستطاعت تقييده بأفكارها ومعتقداتها ففي نهاية القرن 18 لا تجد شخص إلا وينتمي إلى طريقة معينه من الطرق الصوفية.

خاتمة

نستنتج من خلال ما سبق ذكره في فصول دراستنا للموضوع الجنوب الجزائري في العهد العثماني من خلال الرحال المغاربة إلى مجموعة من الاستنتاجات الهامة نحوصلها فيما يلي:

- تعددت التعاريف الرحلة في اللغة والاصطلاح فالرحلة وهي صفة ملازمة للإنسان منذ القدم وتعدد معانيها كالانتقال والسفر والحركة وتكون إما فرديه او جماعية لأهداف معينة.
- اختلفت أنواع الرحلات باختلاف التصنيفات التي وضعت ونذكر من بينها العلمية والحجازية الاستطلاعية، السفرية..... إلى غيرها.
- تعتبر كتابات الرحالة المغاربة الذين زاروا الجزائر منذ الأساسيات التي يجب الباحث في تاريخ الجزائر العثماني الرجوع إليها.
- كانت ايالات الجزائر مقصد الكثير من الرحالة سواء من المغاربة أو الأجانب طيلة ثلاثة قرون إما بدافع الرحلات العلمية أول حجية او غيرها فدونوا ملاحظاتهم عن تاريخ هذه البلاد وشعبها أمثال ابو سالم العياشي وابي عبد السلام الناصري الذين تركوا اخبار هامة عن مدينة الجزائر لابد من الرجوع إليها.
- أيضا تعد كتابات الرحالة من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لان الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدات الحية والتصوير المباشر مما جعل قراءتها ممتعه ومسلية وقد دون الرحالة في مذكراتهم أخبار ومشاهدات ووصافا وتعليقات موجزا بأسلوب سلس حول مدينة الجزائر وبالأخص الجزء الجنوبي الذي كان طريقهما الأساسي في الرحلة فكانت كتاباتهم مصادر هاما يعتمد عليه في الكتابات التي جاءت بعدها.
- إن المصادر المحلية ذات أهميه كبرى في الحديث عن تاريخ المنطقة إذ تعد لسان حال المنطقة إذ تعد لسان حال المنطقة الذي يشرح لنا تفاصيل الحياة بها
- ساهمت المصادر المحلية مساهمه فعاله في إثراء فترة مهمة من تاريخ المنطقة وتوصيل الحلقات التي أهملتها المصادر لم يكن الحكم العثماني في الأقاليم الصحراوية مستقرا أو محدد المعالم إلا انه تميز بمعظم مظهرين أساسيين تجسد الأول المباشر من خلال فن الحمالات على

الإمارات المتمردة والآخر غير مباشر تجسد في المعاملات الاقتصادية بهدف تحقيق المصالح المشتركة بين الطرفين والذي تمثل في المبادلات التجارية.

- كشفت الرحلة الطبيعية وبساطة التنظيم الإداري القبلي القائم على المشيخة الذي تحكم فيه الأسرة المحلية الشريفة حكم المطلق على المنطقة الصحراوية كما صورت لنا الصراعات القبلية بين تلك المشايخ حول الزعامة مما أبطل انتشار الفوضى ولا امن وفيما يخص الجانب الاقتصادي فان المناطق الصحراوية وخاصة القصور قد شاهدت نشاطا اقتصاديا كبيرا وبالأخص الجانب الزراعي وذلك بفضل التقنيات و الطرق التي اعتمد عليها أهالي الصحراء بالإضافة إلى الأسواق التي كانت ملتقى القوافل التجارية وهذا أدى إلى تنوع العملات والمعاملات من مقايضة وبيع وشراء.
- فيما يخص الجانب الاجتماعي فقد تميز المجتمع الصحراوي بوجود نظام اجتماعي خاص منقسم إلى قسمين سكان الحضر او القصور وسكان البدوي والرحل المقيمين بجوار القصور ونجد رغم اختلافاتهم في الخصائص المعيشية إلا أنهم اشتركو في القيم والعادات الواحدة كالكرم وحسن الضيافة وما يعاب على هذا الجانب هو سوء الحالة الصحية والمعيشية الناتجة عن الوباء والجوائح كما ذكر الرحالة.
- أما الجانب الثقافي فقد عرف انتشارا المساجد مع ضعف النشاط التعليمي على حسب ما قدمه الرحالة من انتقادات لائمتها و فقهائها بقلة التحصيل وعدم درايتهم الواسعة بأمور الدين مع الإشارة إلى بعض الشخصيات و العلماء الذين ساهموا في تطويره ا كما اشارة الرحالة الى الانتشار الواسع للأضرحة والقباب في مختلف أرجاء المنطقة والذي يدل على انتشار الطرق الصوفية التي قيدت المجتمع بافكارها و معتقداتها الخرافية.

الملاحق

مسار رحلة العياشي[390] : ملحق رقم 01

[390] - مولاي بلحميسي ، مرجع سابق ، ص95.

مسار رحلة الناصري[391] : ملحق رقم 02

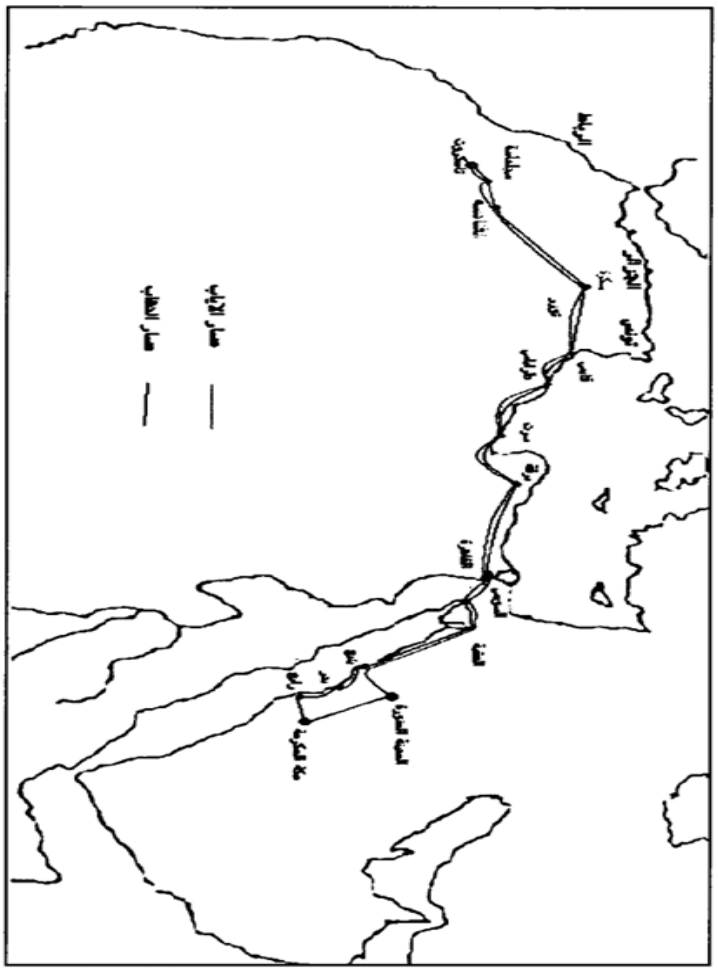

مسار الرحلة الناصرية

[391]- الناصري، مرجع سابق ، ص 34.

خريطة الموقع الجغرافي[392] : ملحق رقم 03

[392]- أحسن دواز ، خريطة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر، مذكرة لنيل شهادة ماجستير،2007-2008 .

المبادلات التجارية[393] : ملحق رقم 04

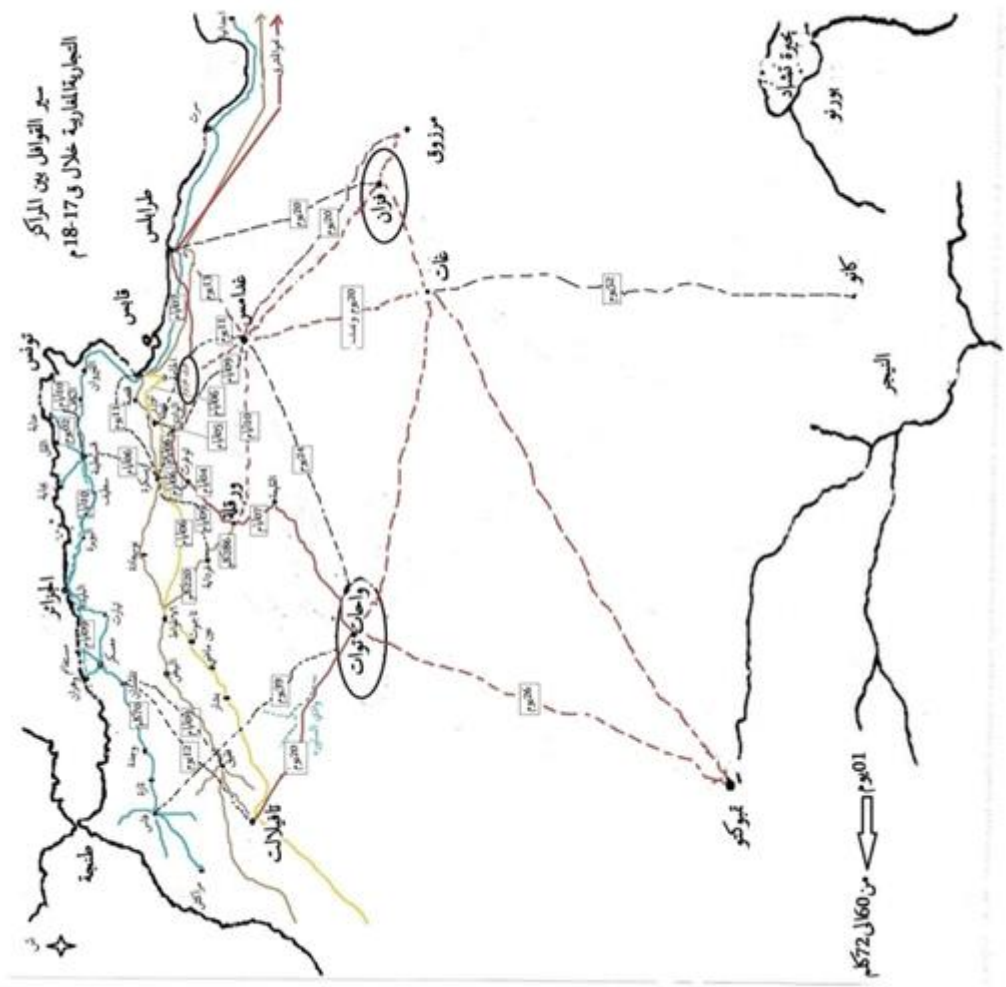

[393]- رشيد حفيان ، مرجع سابق، ص44.

نظام الفقارة[394] : ملحق رقم 05

[394]- عز الدين جعفري ، مرجع سابق، ص 392.

قائمة البيبليوغرافيا

قائمة المصادر:

القرآن الكريم

المصادر العربية:

1. إبراهيم دحمان بن أبي محمد السجني المصعبي، رحلة المصعبي، تح: يحيى بن بهون، حاج أمحمد، العالمية للخدمات والنشر، غرداية ، 2006، ج 1 .

2. ابن الدين الأغواطي، رحلة الاغواط في شمال أفريقيا والسودان والدرعة، تر،وتح ،أبو القاسم سعد الله ،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، د.ط،الجزائر ،2011

3. ابن زاكور، نشر أزاهير البستان فيمن أجاز بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر 2018

4. ابو سالم العياشي رحله العياشي ماء الموائد ليبيا، طرابلس، برقة، تح، سعد زغلول وآخرون، منشاة المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

5. ابو عبد الله محمد بن احمد الحضكي، الرحلة الحجازية، مركز الدراسات والأبحاث و احياء التراث، الرباط،ط1 ،2011 ،ص13.

6. أبي العباس الهلالي، التوجه للحج بيت الله الحرام وزيارة قبره، دراسة وتحقيق، محمد بوزيان بن علي.

7. أبي القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أرجاء المعمورة برا و بحرا، تح: عبد الكريم الجيلاني ، دار المعرفة للنشر ، الرباط د،ط ،1991 .

8. احمد ابن هطل تلمساني، رحلة محمد الكبير باي المغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785 ، تق: محمد بن عبد الكريم المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

9. الحاج احمد الشريف الزهار ،مذكرات نقيب ،أشراف الجزائر، تح: احمد توفيق المدني 1732-1830.

10. الحسين بن محمد الورتيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخيار مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1 ،2006 ،ج1.

11. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2012.

12. عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى (1239هـ/ 1823م)، تح، المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية المملكة المغربية، 2013.

13. العنتري، مجاعات قسنطينة، تر: رابح بونار ، (ش.و.ن.ت) ،د.ط.

14. محمد بن احمد الحضكي، طبقات الحضكي، تح، احمد بومزكو، الدار البيضاء مطبعة النجاح، 1775م،ج 1.

المصادر المعربة:

15. أمين معلوف ليون افريقي، وصف إفريقيا، تر، عفيف مشيقه، دار المفرابي، بيروت لدبنان ،ط1، 1990.

16. مارمول كرفاخال، إفريقيا ،تر، محمد حجي وآخرون، جمعية مغربية للتأليف والترجمة، د ط،1988، ج1.

المصادر بالفرنسية:

1. Diego. De haedo, Histoire de l'Algérie traduits par de grandmont, est présenté par Rebahi Abderrahmane, Ed, Alger vivre, Alger, 2004
2. Thomas show voyage dans la région d'Alger au désert à Sion géographique de cet état traduis diacre Macao édition marlin Paris 1751

المراجع باللغة العربية:

17. إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغرب الجزائري، (1884م-1912م) ، المتحف الوطني للمجاهد و ثورة اول نوفمبر،الجزائر،د.ط ، 1996 م،

18. ابو العباس احمد بن خالد الناصري الاستقصاء لأخبار، دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، جعفر الناصري محمد الناصري دار الكتاب الدار البيضاء 1997 ج 7

19. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ج2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، خاصة، 2015

20. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار المغرب الإسلامي،ط1 ،1830

21. أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983

22. ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط:خ، دار البصائر ،الجزائر، 2007 ،ج1

23. ابو يعلي البيضاوي ،الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، بحث مقدم في ملتقى أهل الحديث 2012/07/05م.

24. أبي زيد عبد الرحمن الحشتمي، الحضكيون، تح، المجلس العلمي المحلي لتادورانت، الدار البيضاء، ط1 ،2010م

25. اعشي مصطفى،نماذج من التواصل الحضاري بين شمال أفريقيا خلال عصور ما قبل التاريخ ، معهد الدراسات الإفريقية ،جامعة محمد الخامس، الرباط..

26. جيمس ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785-1798 م تر:علي تابليت ،دار ثالة ،الجزائر، د.ط ، 2007.

27. الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر الماريني،ج1، منشورات عكاظ للرياض،د.ط، الرباط.

28. حسين محمود حسين، آداب الرحلة عند العرب دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ط 2 ،منقحة، 1983 .

29. حسين نصار، أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة والنشر القاهرة ط1، 1991،

30. حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحة في الكتابات المغربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

31. سعيدوني ناصر، المهدي بوعبدلي، الجزائر في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب،د،ط،1984م.

32. سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة النشأة والتطوير والبنية، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2009 .

33. عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن 14 ،مستويات السرد، ط1 ،دار السويدي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 2006م

34. عبد السلام الناصري،المزايا في ما احدث من البدع بأم الزوايا،تح، عبد المجيد خيافي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ط1، 2006 .

35. عبد السلام بنعبد القادر ابن سودة المري، دليل المغرب الاقصى، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيورت،لبنان،ط1، 1997م.

36. عبد القادر عبد السلام ابن سوده، اتحاف المطالع بوفيات الأعلام، القرن الثالث عشر والرابع عشر،تح، محمد مجي، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 1997،ج1 .

37. عبد القادر ميهص، الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراستهم ، مطبعة مزوار، الوادي الجزائر ، ط2 ، 2015م .

38. عبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها تطورها قيمتها العلمية ط1 ،1999.

39. عبد المجيد قدوري ،ابن ابي المحلي على الفقيه الثائر ورحلته الاصليت الاخريت، منشورات عكاظ، ط1، 1991.

40. عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة المكرمة ،2005 م، ج1،ص113.

41. عبد الواحد ذنون طه،الرحلات المتبادلة بين المغرب والإسلامي والمشرق ط 1، دار المدار الإسلامي، 2004

42. عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبه الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 1992.

43. العياشي ابن إبراهيم السلامي الإعلام بمن حلا، مراكش واغمات من الإعلام المطبعة الملكية، الرباط، 2001..

44. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ديوان المطبوعات الجزائرية الجزائر، 1977

45. فريد بنور،الجواسيس الفرنسيون في الجزائر، 1782 – 1830 م، دار الواحة، الجزائر

46. فؤاد قنديل، آداب الرحلة من خلال الرحالة المغاربة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2 ،2002 م

47. لوتيسكي تاريخ الأقطار العربية الحديثة، ط 8 ،دار الفرابي 1985،ص56.

48. محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792– 1830 (ش.و.ن.ت) ، الجزائر.

49. محمد المختار السويسي، المعسول، الدار البيضاء المغرب، مطبعة النجاح، 1923 ،ج 11

50. محمد بوركيبة، الدور الديني والتربوي الزوايا في الجزائر المنطقة الوطني العاشر حول الزوايا ودورها في المحافظة على شخصية الوطنية، إصدار الجمعية الخلدونية 2015.

51. محمد رشيد الفيل، اثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب ،بحوث جغرافية ،جامعة الكويت ، 1979.

52. محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين،(الرابع عشر العشرين)، مجلد رقم 4، دار الفكر، بيروت.

53. مشوشة سمير، ابن حمادوش و أبو الراس الناصري يؤرخان العلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18 ،جامعة عباس لغرور، خنشلة،الجزائر.

54. المشير دوك دي دوماس ،صحراء الجزائرية، تر،قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية.

مصطفى خياطي،الأوبئة والمجاعات في الجزائر،تر: يوسف وهبه حابت، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال،الرويبة،د.ط.

55. مولاي الحميسي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثماني، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية للدرسات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 م.

56. ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي ،الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

57. ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في التاريخ الجزائري في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر 2008.

58. نوال عبد الرحمن الشوابلة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع عشر هجري، تقديم صلاح جرار، دار المأمون للنشر والتوزيع، 1428 هـ / 2008م

المراجع بالفرنسية:

1. Camille Sabatier touat sahara et soudan, Société d'éditions scientifiques,

المجلات:

59. بلقايد بن عمر، "منطقة الاغواط وجوارها من خلال رحلة"، ابي عبد الله محمد ابن عبد السلام الناصري الدرعي، **المجلة المغربية للدراسات الخارجية والاجتماعية**، جامعة غرداية، العدد الأول المجلد ت9.

60. بوسليم الصالح، "الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية" ،**مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**،21 ديسمبر 2015 جامعة الجزائر غرداية .

61. سعيد شريدي، "دور المشيخه في تفعيل سلطة الدولة في الجزائر"،القرن السادس 16-19 م، عشر **مجلة منتدى الأستاذ**، ع 18 جوان 2011 .

62. الطاهر بن خدة ،"دور الأتراك في انبعاث ووحدة الدولة الجزائرية الحديثة"، **مجلة العصور الجديدة** ،ع 11، 12 ،2013- 2014.

63. عبد الحميد زوزو، "الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي"، **مجلة الأصالة**، العدد 41 ،1977م.

64. عمر بن قايد، "منطقة الأغواط وما جاورها من خلال رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري"، قراءة اجتماعية ثقافية، **مجله المغاربة للدراسة التاريخية والاجتماعية**، مج 9، ع 1، جوان 2018.

65. محمد المشهداني وسلوان رشيد، "اوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م"، **مجله الدراسات التاريخية والحضارية** ، ع 16، نيسان 2013

66. محمد بن جبور ،"الوضع الصحي لسكان الجزائر في العهد العثماني"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية** ،قسم التاريخ، جامعة معسكر،ع 7/2009م.

67. محمد محمودي، "صورة المدينة الجزائرية إبان العهد العثماني في رحلة العياشي المغربي"، **مجلة الحضارة الإسلامية،** ع 27 جامعة قسنطينة.

68. محمد معمر، "علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية بالجزائر" ،**مجله الحضارة الإسلامية**،ع12.

الرسائل الجامعية:

69. أحسن دواس، **صورة المجتمع الصحراوي في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيو ثقافية** مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المقارب قسم الآداب واللغات جامعة قسنطينة الجزائر 2008/2007 .

70. احمد بو سعيد ، **ركب الحج الجزائري من خلال كتب الرحلات الحجازية** ،اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة احمد دراية ادرلر،الجزائر،2018،2017.

71. جعفري مبارك ،**الحياة العلمية في اقليم توات وانعكاساتها على جنوب الصحراء خلال القرن 12 هـ /18م،** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2013-2014م.

72. جميله معاشي، **الأسرة المحلية الحاكمة ببايلك الشرق الجزائري خلال القرن 16 و 19** ،رسالة ماجستير ،معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر.

73. خيرة الطيار ،**الرحلة والرحالة في الدولة العثمانية،** نموذج أطروحة لنيل شهادة الماجستير كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2012- 2013.

74. رشيد حفيان ،**الطرق والقوافل التجارية في الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين (11-12 هـ / 17-18 مـ)،** مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر 2013 2014.

75. الطاهر حسني، **الرحلة الجزائري في العهد العثماني بناؤها الفني أنواعها وخصائصها،** أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة ورقلة ،الجزائر، كلية الأدب واللغات، 2019، 2014 .

76. عباز الازهاري، **نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603-1884،** مذكره لنيل شهاده الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي الجزائر.

77. قعر المثرد السعيد ،**الزراعة في بلاد المغرب القديم (ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 143 ق م،** مذكرة ماجستير تاريخ قديم ،جامعة منتوري قسنطينة، 2007/ 2008م.

78. ياسمين شرابي، **الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، نماذج من رحلات القرن العشرين،** أطروحة لنيل درجة الماجستير كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة البويرة، الجزائر، 2012، 2013.

المعاجم:

79. ابن منظور لسان العرب، تح، عامر احمد حيدر، مجلد 11 ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 2003.

80. أبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تج، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت 1997 ،ج2.

81. عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأبيات في معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م،ج1.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ– د
الفصل التمهيدي : التعريف بالرحلة و الجنوب الجزائري	
تمهيد	06
المبحث الأوّل: التعريف بالرحلة	07
المطلب الأول : تعريف الرحلة	07
المطلب الثاني: أنواع الرحلة	10
المطلب الثالث: أهمية الرحلة	12
المبحث الثاني: التعريف بالجنوب الجزائري	14
المطب الأول : ماهية الصحراء	14
المطلب الثاني: الموقع الجغرافي لصحراء الجزائرية :	16
المطلب الثالث: التركيبة البشرية :	18
الفصل الاول : التعريف بالرحالة المغاربة	
المبحث الأول: الرحالة أبو سالم العياشي	21
المطلب الاول: مولده و نسبه	21
المطلب الثاني: حياته	23
المطلب الثالث: مؤلفاته و وفاته	25
المبحث الثاني: محمد بن عبد السلام الناصري	27
المطلب الأول: مولده ونسبه	27

المطلب الثاني حياته	28
المطلب الثالث: مؤلفاته و وفاته	28
المبحث الثالث: الرحالة أبي العباس الهلالي السجلماسي	30
المطلب الاول: مولده و نسبه	30
المطلب الثاني : حياته	30
المطلب الثالث: مؤلفاته وفاته	31
المبحث الرابع: الرحالة أبي عبد الله محمد بن احمد الحضيكي	33
المطلب الأول: مولده و نسبه	33
المطلب الثاني: حياته	33
المطلب الثالث: مؤلفاته و وفـاته	35
الفصل الثاني : الأوضاع السائدة في الجنوب الجزائري خلال الرحالة	
المبحث الأول: الأوضاع السياسية	39
المطلب الأول: طبيعة الحكم العثماني في الأقاليم الصحراوية	39
المطلب الثاني: نظام المشيخة	43
المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية	51
المطلب الأول : النشاط الزراعي	51
المطلب الثاني: النشاط الصناعي	56
المطلب الثالث: النشاط التجاري	60
المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية	65
المطلب الأول: صفات وأخلاق المجتمع الصحراوي	65
المطلب الثاني: عادات وتقاليد سكان الجنوب	71
المطلب الثالث: الوضع الصحي السائد في الصحراء	73

المبحث الرابع: الأوضاع الثقافية	78
المطلب الأول: مؤسسات الثقافة و دورها التعليمي	78
المطلب الثاني: التواصل الثقافي بين الرحالة وعلماء الجنوب	82
المطلب الثالث: الحضور الصوفي وتأثيره على المجتمع الصحراوي	85
خاتمة الفصل	87
الخاتمة العامة	88
الملاحق	90
القائمة البيبليوغرافية	96
فهرس المحتويات	106

باللغة العربية :

عرف الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني توافد عدد من الرحالة المغاربة على المنطقة أثناء تلك الفترة بغرض أداء مناسك الحج وأثناء زيارتهم تركوا لنا صورة حول مختلف الأوضاع السائدة آنذاك وعن الجانب السياسي كشفت الرحلة عن طبيعة وبساطة التنظيم الإداري القبلي القائم على المشيخة وان الحكم العثماني لم يكن مستقرا في الأقاليم الصحراوية أو محدده المعالم أما الجانب الاقتصادي فكان مزدهرا وعرف نشاطا كبيرا بفضل الإنتاج الزراعي ووجود الأسواق الذي ساهم في تنشيط الحركة التجارية وفيما يخص الجانب الاجتماعي فقد عرف ت بكرم السكان وحسن ضيافتهم مع احترام الأجانب إلا انه عرف واقع صحي متدهور بسبب انتشار الأمراض والأوبئة أما الجانب الثقافي عرف بضعف المستوى التعليمي والاعتماد على القاضي دون الجديد وهذا فتح المجال لانتشار الطرق الصوفية وتأثيرها على المجتمع الصحراوي.

باللغة الفرنسية

L'Algérie du Sud savait à l'époque ottomane qu'un certain nombre de voyageurs marocains affluaient dans la région pendant cette période afin d'accomplir les rituels du Hajj, et lors de leur visite, ils nous ont laissé une image des diverses conditions qui prévalaient à cette époque et du côté politique, le voyage a révélé la nature et la simplicité de l'organisation administrative tribale basée sur le cheikhdom et que la règle ottomane n'était pas stable. Dans les régions désertiques ou à particularités, le côté économique était prospère et connaissait une grande activité grâce à la production agricole et à la présence de marchés qui contribuaient à la revitalisation du mouvement commercial et en ce qui concerne l'aspect social, il était connu pour la générosité de la population et son hospitalité à l'égard des étrangers, mais il connaissait une situation sanitaire dégradée due à la propagation des maladies et des épidémies. L'aspect culturel était connu pour son faible niveau d'éducation et sa dépendance envers le juge sans le nouveau, ce qui a ouvert la voie à la diffusion des ordres soufis et à leur impact sur la communauté saharienne.